



مركز المسبار للدراسات والبحوث

Al Mesbar Studies & Research Centre

الإسلام النائم التصوف في بلاد الشام

الكتاب السادس و الستون - يوليو (حزيران) 2012

كتاب شهري يصدر عن مركز المسبار للدراسات والبحوث

«الطرق الصوفية في فلسطين ما بين عامي (1989/2011) دراسة وصفية تأصيلية»

مشهور الحَبَّازي(*)

اختلف الدارسون قديماً وحديثاً حول تاريخ نشوء الصوفية، ومعناها، ومبادئها، كما اختلفوا في تحديد زمن نشوء الطرق الصوفية. ولما كان موضوع هذه الورقة العلمية هو «الطرق الصوفية في فلسطين ما بين عامي (1410هـ/1989 - 1433هـ/2011): دراسة وصفية تأصيلية»، فقد تجنبت الخوض في هذه الاختلافات؛ لأن ذلك يُخرج هذه الورقة عن مقصدها. لكن لا بأس من الأخذ بما هو الأرجح عند الباحثين، فأقول: إن المتصوف هو: الإنسان المنقطع للعبادة الزاهدة في الدنيا، والمعرض عن: زخارفها، وفتنها، وعمّا يُقبلُ عليه الناس من: لذة، ومال، وجاه. وبذلك يُصَفِّي قلبه من عوارض الدنيا، ويُزَكِّي نفسه، ويُطَهِّرُها، ويسمو بها إلى درجة المقرَّبين.

وأما نشأة التصوف فهي نشأة إسلامية صافية تعود للإمام الحسن بن يسار البصري (ت110هـ/720). فقد قال القشيري: «اشتهر هذا الاسم لهؤلاء الأكابر قبل المائتين من الهجرة»⁽¹⁾. وقال أبو حفص عمر السهروردي: «وهذا الاسم (التصوف) لم يكن في زمن النبي، صلى الله عليه وسلم، وقيل كان في زمن التابعين، وقيل لم يُعرف هذا الاسم إلى المائتين من الهجرة»⁽²⁾.

وقد أخذ المتصوفة معتقداتهم من: القرآن الكريم، والسُّنة النبوية المطهرة، وسيرة صحابة رسول الله، صلى الله عليه وسلم.

ثم ظهرت في القرن السادس للهجرة الطرق الصوفية، وما رافقها من: شيوخ، ومصطلحات، وعلم الإشارات، والمكاشفات، والذوق، إلى أن ظهر ما يُعرف بعلم الظاهر والباطن حيث ضلّ بعض الطرق الصواب، وخرجت عن طريق الحق؛ وذلك جراء تسرّب أفكار، ومعتقدات غير إسلامية إليها⁽³⁾.

والطريقة باتت تعني: مجموعة من الأفراد ينتسبون إلى شيخ، ويخضعون لنظام معين في السلوك الروحي، ويجتمعون دورياً في مناسبات معينة، ويعقدون مجالس علم، وذكر، وسماع بشكل منظم. وهي: عهد بين الشيخ ومريديه يقوم على: التوبة، والاستقامة، وذكر الله، سبحانه وتعالى، والعمل بأداب الطريقة مع القيام بالأوراد والأحزاب التي يحددها الشيخ⁽⁴⁾.

وغالباً ما كانت الطرق الصوفية تأخذ أسماء مؤسسيها مثل: القادرية نسبة إلى الشيخ عبد القادر الجيلاني (ت561هـ/1166)، والرفاعية نسبة إلى الشيخ أحمد الرفاعي (ت578هـ/)، والشاذلية نسبة إلى الشيخ علي بن عبد الله الشاذلي (ت656هـ/1169)، وهذه حافظت على أسمائها ونسبتها طوال العصور، وذلك على الرغم من أنه طرأ عليها كثير من التجديد في تعاليمها كما هو الحال في القادرية التي أحدث فيها الشيخ محمد

(1) القشيري، الرسالة القشيرية، ص16.

(2) السهروردي، عوارف المعارف، ص65.

(3) انظر: عصام الدين عبد الرؤوف، تاريخ الفكر، ص325.

(4) انظر: التفتازي، مدخل إى التصوف، ص235؛ عامر النجار، الطرق الصوفية، ص25.

هاشم البغدادي (ت1415هـ) تجديدات عديدة، ونقلها ونشرها إلى فلسطين بعمامة وبيت المقدس بخاصة.

وقد وضع الشيوخ المؤسسون للطرق الصوفية تعاليم ومبادئ خاصة ضمّنها في مؤلفات نشرها بين المريدين وعمامة الناس، ما أسهم في انتشارها في مناطق مختلفة من العالم الإسلامي، وحافظ على استمرار بقائها عبر العصور.

وقد حافظ أتباع بعض هذه الطرق على أسماء طرقهم مثل: القادرية التي نسبت إلى الشيخ عبد القادر الجيلاني (ت561هـ/1166)، والتي جدّد فيها الشيخ محمد هاشم البغدادي (ت1415هـ/1944) ونشرها في فلسطين لكنه حافظ وأتباعه من بعده على أسمها حتى اليوم فيما لم يحافظ آخرون على أسماء طرقهم فالطريقة الخلوتية اختلف اسمها من عهد إلى آخر، ومن بلد إلى آخر، ومن شيخ إلى آخر؛ فقد بدأت باسم الدينوريّة نسبة إلى ممشاد الدينوري (ت297هـ/959)، والقراياشلية نسبة إلى علي أفندي قراياش (ت1097هـ/1686)، وحديثاً الخلوتية الجامعة الرحمانية نسبة إلى الشيخ عبد الرحمن الشريف (ت1305هـ/1887)، ثم قبل عامين أصبحت تعرف باسم «طريقة القاسمي الخلوتية الجامعية»⁽⁵⁾.

ويقوم المريدون بنشر أفكار طرقهم وتعاليمها، وأورادها، ويبنون الزوايا والمساجد التابعة لها، ويحافظون - في الأغلب - على علاقات ودية وقوية مع شيخ طريقتهم (الخليفة)، وبعضهم ينفصل، ويؤسس طريقة جديدة، ويمنحها اسمه، كما حدث في الطريقة الرفاعية في فلسطين حيث خرج المريد باسل جرّار في قرية جبج بمحافظة جنين في صفر سنة (1425هـ/2004) عن الطريقة الرفاعية، وأسس طريقة جديدة عرفت بالباسلية، روى محمد أبو الربّ عن أحد المريدين للرفاعية كيفية نشوء الباسلية فقال: «كنت أتبع الطريقة الرفاعية حتى أمرَ شَيْخِي أَنْ يتحدّث عن طريقتي، فقلتُ (محمد أبو الرب): ماذا تعني بأمر؟ فقال: جاء رسول الله، صلى الله عليه وسلم، ليلا في منامه، وأمره أَنْ يتحدّث بها، فقلتُ (محمد أبو الرب): وما اسم هذه الطريقة؟ فقال: اسمها:

(5) انظر: عفيف القاسمي، أضواء على الطريق، ص10-12: محمد أبو الرب، الفكر الصوفي، ص124-126، 154-155: اتصال هاتفي مع د. محمود قرقور، يوم الأحد، (24) جمادى الأولى، 1433هـ، الساعة العاشرة والنصف صباحاً.

«الطريقة الباسلية»، نسبة «إلى الشيخ باسل جرّان»⁽⁶⁾.

ويمكن لأي إنسان أن ينتسب إلى أية طريقة صوفية بواحدة من الطرق الخمس الآتية:⁽⁷⁾

أخذ العهد والمصافحة وتلقين الذكر.

أخذ رواية، وهو قراءة كتب الطريقة المقصودة.

حلّ كتب الطريقة المقصودة؛ لإدراك معانيها.

أخذ تدريب، وتهذيب، وترقُّ في الخدمة بالمجاهدة.

الاتباع، والمشاركة للطريقة المقصودة ولو بشيء يسير مع المحبة لاتباع الطريقة.

وعلى المريد أن يُحسن بداية دخوله الطريق التي يَقْصِدُ اتباعها، فَمَنْ كانت بدايته أحكم كانت نهايته أتم. وهناك سبيل واضح لدى الطرق الصوفية لمن يريد من المريدين سلوك طريقهم إنَّ عليه السَّير فيها وفق ما يخطُّه له شيخه⁽⁸⁾.

وبناء على ذلك، فقد كثرت الطرق الصوفية في فلسطين، وتفاوتت تأثيرها في المجتمع الفلسطيني، وأهم الطرق الموجودة في فلسطين في حقبة الدراسة، هي:

أولاً - الطريقة الخلوتية الجامعة الرّحمانية

نشأتها وأصولها

نشأت في القرن الثالث الهجري، وأطلق عليها اسم الدينوريّة نسبة إلى ممشاد الدّينوريّ (ت297هـ/959)، ثم أطلق عليها اسم السُّهرورديّ نسبة إلى عدد من الخلفاء

(6) محمد أبو الرب، الفكر الصوفي، ص124.

(7) انظر: محمد أبو الرب، الفكر الصوفي، ص59.

(8) انظر: محمد أبو الرب، الفكر الصوفي، ص58.

الذين ينتسبون إلى بلدة سُهرورد في إقليم خراسان بإيران ومنهم: أبو نجيب الدين محمد السُّهرورديّ وأبو النجيب عبد القاهر بن عبد الله السُّهرورديّ، وأبو حفص عمر بن محمد السُّهرورديّ. ثم أطلق عليها اسم الخلوتية، نسبة إلى الخلوة، وهي اسم المكان الذي يختلي فيه المريد عن الناس وينقطع للعبادة، أو نسبة إلى الشيخ محمد بن نور الخلوتي، وعمر الخلوتي. وامتدت إلى بلاد الشام ومصر فوصلت إلى الشيخ عبد اللطيف بن حسام الدين الخلوتي بدمشق (ت1121هـ/1709)، وعنه أخذ الشيخ مصطفى بم كمال الدين البكري الصديقي الدمشقي المصري (ت1162هـ/1749)، ويعتبر مجدّد لهذه الطريقة في عصره⁽⁹⁾.

وقد ظلت الطريقة تأخذ اسم خليفاتها حتى وصلت الشيخ عبد الرحمن بن حسين بن يوسف بن صالح الشريف الذي عاش ما بين عامي (1244هـ/1828 و 1305هـ/1887)، والذي ولد في الخليل بفلسطين، وأخذ التصوف عن والده، ثم سافر إلى مصر واخذ عن شيوخ الطريقة عهد الطريقة الخلوتية، ثم عاد إلى الخليل، وعمل في المحكمة الشرعية ثم في القضاء. وقبره موجود في زاوية «الأشراف» بالخليل. وبعده انتقلت خلافة الطريقة إلى الشيخ محمد أبو رجب الذي بنى زاوية في الخليل عرفت بزاوية أبو الريش أو رباط مكة قرب الحرم الإبراهيمي الشريف. واستمر يقود الطريقة أكثر من أربعين سنة حيث خلفه ابنه صلاح أبو رجب. كما انتقلت إلى الشيخ حسني القواسمي الذي يعتبر عهده الذهبي للطريقة في فلسطين⁽¹⁰⁾.

ومنذ تولي الخلافة الشيخ عبد الرحمن بن حسين الشريف للطريقة أصبح اسمها «الخلوتية الجامعة الرّحمانية» وسميت بالجامعة؛ لأنّها جمعت كثيراً من أعلام الصوفية، والرّحمانية نسبة إلى الشيخ عبد الرحمن الشريف. واستقرّت الطريقة في فلسطين، فكان مركزها الأول في مدينة الخليل، ثم امتدّت إلى قرية عتيل ثم بنى الشيخ حسني الدين القواسمي زاوية في قرية زيتا حيث أصبحت مركزاً لهذه الطريقة الكبيرة⁽¹¹⁾.

(9) انظر: محمد أبو الرب، الفكر الصوفي، ص124-126.

(10) انظر: محمد أبو الرب، الفكر الصوفي، ص128.

(11) انظر: عفيف القاسمي، أضواء على الطريقة، ص7؛ محمد أبو الرب، الفكر الصوفي، ص128؛ عادل مناع؛ أعلام فلسطين، ص222؛ نجاح أبو سارة، الزوايا والمقامات، ص21.

وفي سنة (1431هـ/1992) غيّرت الطريقة اسمها فأصبح «طريقة القاسمي الخلوتية الجامعية»، وسبب ذلك - كما أفادني الدكتور خالد محمود قرقور - هو: وجود أكثر من فرع للطريقة، وصار بعضهم ينسب نشاطات وإنجازات الطريقة لنفسه وبخاصة في مجال خدمة المجتمع والتربية والتعليم، فمن باب التمييز تم إحداث هذا التغيير في الاسم⁽¹²⁾.

سند الطريقة الخلوتية

تُرجع الطريقة الخلوتية سندها في مشروعية طريقتها، وأساليب تعليمها، ومشروعية أورادها في سلسلة مشايخ إلى أخذ الخلف عن السلف إلى علي بن أبي طالب، كرم الله وجهه، الذي أخذها عن رسول الله محمد بن عبد الله، صلى الله عليه وسلم، والذي تلقاها بواسطة جبريل، عليه السلام، عن ربّ العزّة، سبحانه وتعالى، وسلسلة السند هي⁽¹³⁾:

إسماعيل الجرومي عن سيدنا الشيخ عمر الفؤادي عن سيدنا الشيخ محيي الدين القسطموني عن سيدنا الشيخ شعبان القسطموني عن سيدنا الشيخ خير الدين التوقادي عن سيدنا الشيخ محمد جمال الخلوتي عن سيدنا الشيخ محمد بهاء الدين الأرذنجاني عن سيدنا الشيخ يحيى الباكوبي عن سيدنا الشيخ صدر الدين عمر الخياوي عن سيدنا الشيخ عز الدين الشرواني، عن سيدنا الشيخ محمد بيرم الخلوتي، عن سيدنا الشيخ عمر الخلوتي، عن سيدنا الشيخ محمد بن نور الخلوتي، عن سيدنا الشيخ إبراهيم الزاهد التكلاني عن سيدنا الشيخ جمال الدين التبريزي عن سيدنا الشيخ شهاب الدين محمد بن محمود التبريزي عن سيدنا الشيخ ركن الدين محمد بن الفضل الزنجاني عن سيدنا الشيخ قطب الدين الأبهري، عن سيدنا الشيخ أبي النجيب السهروردي، عن سيدنا الشيخ وجيه الدين عمر السهروردي عن سيدنا الشيخ نجيب الدين محمد السهروردي، عن سيدنا الشيخ أحمد الأسود الدينوري، عن سيدنا الشيخ ممشاد الدينوري، عن سيدنا الشيخ أبي القاسم الجنيد محمد البغدادي، عن سيدنا الشيخ السري السقطي، عن سيدنا الشيخ معروف الكرخي، عن سيدنا الشيخ داود بن نصير الطائي، عن سيدنا الشيخ حبيب

(12) اتصال هاتفي مع د. خالد محمود قرقور، يوم الأحد، 24 جمادى الأولى 1423هـ، الساعة العاشرة والنصف صباحاً.

(13) انظر: محمد أبو الرب، الفكر الصوفي، ص156-157.

العجمي، عن سيدنا الشيخ الحسن البصري، عن سيدنا الشيخ الإمام علي بن أبي طالب، عن سيد الكائنات وفخر الموجودات سيدنا محمد ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

شروط الالتحاق بالطريقة الخلوتية

وضع الخلوتيون جملة من الشروط الواجب توافرها في كل فرد يُريد أن يصبح صوفياً، وقد استدلّوا عليها بأدلة من الكتاب والسنة المطهرة، وأهم هذه الشروط ثمانية هي:

الجوع الاختياري

وقد استدلّوا على مشروعيته بأدلة من القرآن والسنة النبوية الشريفة، وقد بنى مشايخ الطريقة على تلك الأدلة وصايا لمريديهم، منها: «معاشر الإخوان: لا تأكلوا كثيراً، فَتَشْرَبُوا كثيراً، فترقدوا كثيراً، فَتَخْسَرُوا كثيراً»⁽¹⁴⁾.

وللجوع عندهم فوائد، منها: أنه أساسٌ لمعرفة عيوب النفس، وتعويدها الكف عن الشهوات، ويزيل المُشغلات عن الطاعات⁽¹⁵⁾.

العزلة

وتعني الانقطاع عن الخلق، والانفراد بالنفس مع الله، سبحانه وتعالى، تطهيراً للقلب، وإمعاناً للفكر حتى يصل المريد إلى الله بالله، سبحانه وتعالى⁽¹⁶⁾.

وللعزلة عندهم شروط منها: الطهارة ظاهراً وباطناً، والمداومة على الذكر بالاسم الذي يُلقّنه الشيخ للمريد⁽¹⁷⁾، كما لها فوائد منها: سلامة اللسان من الآفات، والسلامة من صحبة الأشرار، وحفظ البصر، والتفرغ للعبادة والذكر، وتفجير ينابيع الحكمة في

(14) انظر: عفيف القاسمي، أضواء على الطريقة، ص12.

(15) انظر: عفيف القاسمي، أضواء على الطريقة، ص12؛ محمد أبو الرب، الفكر الصوفي، ص129.

(16) انظر: عفيف القاسمي، أضواء على الطريقة، ص13.

(17) انظر: عفيف القاسمي، أضواء على الطريقة، ص42.

الصمت

وهو الكف عن لغو الكلام (الذي لا فائدة فيه). وهم يرون أَنَّ مَنْ صمت لسانه عن اللغو، وقلبه عن الأغيار أشرقت في قلبه طوابع الأنوار، وظهرت فيه خفايا الأسرار⁽¹⁹⁾.

الذكر

وهو أن يداوم المريد على ذكر الله، سبحانه وتعالى، بصيغ مختلفة، ولهم في ذلك أوراد يطلبون من المريد تلاوتها في أوقات محدّدة.

وللذكر فوائد منها: شرح الصدر، وجلاء القلب، وإضفاء السعادة في الدارين. وهو علامة الفلاح وطريقة الولاية⁽²⁰⁾.

الفكر

وهو التفكير في خلق الله، سبحانه وتعالى، وأفعاله لا في ذاته. وهو طريق تحصيل العلم بالقلب⁽²¹⁾.

الحب

وهو حبّ الله، سبحانه وتعالى، ورسوله، صلّى الله عليه وسلّم، ويكون حبّ الله باتّباع أوامره، واجتناب نواهيه، والرّضا بحكمه، والحرص على رضاه. ويكون حبّ الرسول ، صلّى الله عليه وسلّم، باتّباع سنّته، قولاً وفعلًا وتقريراً⁽²²⁾.

الامتنان

(18) انظر: عفيف القاسمي، أضواء على الطريقة، ص16: محمد أبو الرب، الفكر الصوفي، ص130.

(19) انظر: عفيف القاسمي، أضواء على الطريقة، ص18.

(20) انظر: عفيف القاسمي، أضواء على الطريقة، ص43، 48.

(21) انظر: محمد أبو الرب، الفكر الصوفي، ص135.

(22) انظر: عفيف القاسمي، أضواء على الطريقة، ص22.

وهو طاعة الله، سبحانه وتعالى، ورسوله، صلى الله عليه وسلم، وأولي الأمر من المسلمين ما داموا مطيعين لله ورسوله. قال الشيخ عبد الرحمن الشريف في معنى الامتثال: (23)

وخالِفَ النَّفْسَ وَالزَّمَ بَابَ رَأْفَتِهِ عَسَاهُ يُسَدِّدُكَ مَا تَرْجُو مِنَ النِّعَمِ
وَقُلْ بِذَلِكَ يَا خَيْرَ الْخَلَائِقِ يَا مَنْ خَصَّهُ اللَّهُ بِالتَّعْظِيمِ وَالْكَرَمِ

التوكل

وهذا الشرط من إضافات الشيخ عفيف القاسمي، وهو: حصر الأمل في الله، سبحانه وتعالى، واللجوء إلى تدبيره من دون ترك الأسباب الموصلة للهدف. وهو عند الخلوتية أعظم ثمار الإيمان والمعرفة (24).

طريقة أخذ العهد

يتوصل المريد في الطريقة الخلوتية إلى المرشد بطريقتين هما: (25)

من خلال نور يتجه إلى قلب المريد فيؤكد له أن شيخه هو فلان.

من خلال انبعاث محبة صادقة في قلب المريد تجاه الشيخ الذي سيكون مرشداً للمريد، وبذلك فإن المريد يتوجه إلى الشيخ فرحاً وبياعه على أن الطاعة تجمعهما والمعصية تفرقهما.

البيعة

يعتقد أصحاب الطريقة الخلوتية أن البيعة بين المريد والشيخ مشروعة وواجبة، ويستدلون على ذلك بأدلة من الكتاب والسنة النبوية المطهرة، وتحصل البيعة في هيئة ولفظ مخصوصين، وهما: (26)

(23) عبد الرحمن الشريف، مجموع أورد، ص 138.

(24) انظر: عفيف القاسمي، أضواء على الطريقة، ص 24.

(25) انظر: عفيف القاسمي، أضواء على الطريقة، ص 15.

(26) انظر: عفيف القاسمي، أضواء على الطريقة، ص 36.

الهيئة

يجلس الشيخ جاثياً على ركبته والمريد أمامه، ثم يضع الشيخ يده اليمنى في يد المريد اليمنى، ويضع يده اليسرى بين كتفي المريد.

اللفظ

يقرأ الشيخ والمريد سورة الفاتحة ثلاث مرات.

يقول الشيخ والمريد يُرَدِّد خلفه ما نصّه: أعوذ بالله من الشيطان الرجيم، بسم الله الرحمن الرحيم، بسم الله وبالله، ومن الله، وعلى الله، وعلى ملة الصادق رسول الله محمد، صلى الله عليه وسلم، استغفر الله العظيم الذي لا إله إلا هو الحي القيوم وأتوب إليه، ثلاث مرات، تَبَّتْ إلى الله، ورجعتُ إلى الله، تَبَّتْ إلى الله توبة نصوحاً، لا أنقض عهدي أبداً، والله على ما أقول وكيل. رضيت بالله تعالى رباً، وبالإسلام ديناً، وبالقرآن إماماً، وبسيدنا محمد، صلى الله عليه وسلم، نبياً ورسولاً، وبشيخك شيخاً وولياً إلى الله تعالى، عاهدتك بالله العظيم على أن الطاعة تجمعنا والمعصية تفرقنا، والله على ما أقول وكيل.

ثم يقول الشيخ للمريد: اغمض عينيك واسمع مني: لا إله إلا الله، ثلاث مرات. ثم يطلب من المريد أن يقولها، وبعد فراغهما يقول الشيخ: لا إله إلا الله محمد رسول الله، ويقرأ آيات البيعة.

علاقة المريد مع شيخه وإخوانه

حدّد أصحاب الطريقة الخلوتية ملامح العلاقة بين المريد، وشيخه، وإخوانه، وأكدوا على ضرورة أن يلتزم المريد جملة من الآداب تجاه شيخه تتمثل في الآتي:

التسليم والإنقياد للشيخ، وعدم ذكره بالاسم المجرد⁽²⁷⁾. وانقياده يكون وفق ما

(27) انظر: عفيف القاسمي، أضواء على الطريقة، ص 39.

قاله مصطفى البكري الصديقي: كالميت بين يديّ الغاسل له. (28)

تقديم الشيخ على الوالد.

عدم رفع الصوت على صوت الشيخ، واستشارته في كل الأمور المهمة، ولا يتبع شيخاً غيره، ولا يعترض عليه في القول والعمل، في: السر والعلن، مع الاحتفاظ بحقه في الاستفسار، وأن يستأذنه في الانصراف من حضرته (29).

أما علاقة المريد مع إخوانه فإنه تقوم على التعامي عن عيوبهم، وعدم كشف عورة لهم سترها الله، سبحانه وتعالى، وخدمتهم في كل ما يستطيع، وإيثارهم على نفسه في كل شيء، وأن يمتنع عن مخاصمتهم؛ لأنّ المخاصمة تقطع الود (30).

علاقة الطريقة الخلوتية مع غيرها من الطرق الصوفية

تقوم علاقات طيبة بين أصحاب الطريقة الخلوتية وأصحاب الطرق الأخرى في فلسطين التاريخية، وهم يتجنبون الجدل والمناظرة في أي أمر.

ويوجد تأثير واضح للحدود السياسية المرسومة بين مناطق فلسطين التاريخية (فلسطين المحتلة عام 1368هـ/1949)، والضفة الغربية بما فيها القدس، وقطاع غزة) إذ أن التواصل بين أتباع الطريقة الخلوتية في المناطق الثلاث يكون غالباً عبر الاتصالات: البريدية، والهاتفية، أو الشبكة المعلوماتية العنكبوتية، ويمكن لأصحاب الطريقة (في فلسطين المحتلة عام 1368هـ/1949) أحياناً زيارة إخوانهم في الضفة الغربية، ونادراً ما تحصل زيارات إلى قطاع غزة.

وهذه العلاقة المرتبطة بالحدود السياسية تؤدي إلى الحدّ من القدرة على إنشاء مشاريع من قبل شيخ الطريقة عبد الرؤوف القاسمي. الموجود في نوبا قرب الخليل. في مناطق الضفة وأقطاع غزة.

(28) انظر: منال جاد الله، التصوف في مصر، 1/246.

(29) انظر: عبد الرحمن الريف، الدلالة السنية، ص22؛ عفيف القاسمي، أضواء على الطريقة، ص40.

(30) انظر: الشعراي، المختار من الأنوار، ص35، 37.

والطريقة الخلوتية ترى أنّ أصحاب الطرق الصوفية الأخرى هم: مسلمون، ومتصوّفة، يحترمونها، ويُقدِّرونهم. لكن لكل منهم طريقة في السلوك إلى الله، سبحانه وتعالى.

وتختلف الطريقة الخلوتية عن الطرق الأخرى في كثرة أوراها؛ إذ لدى هذه الطريقة عدد كبير من الأوراد المطلوب من المريدين تلاوتها، وحفظ ما يستطيعون منها.

انتشار الطريقة في فلسطين⁽³¹⁾

دخلت الطريقة الخلوتية إلى فلسطين في بداية القرن الرابع عشر الهجري على يدّ الشيخ محمود الرافعي الطرابلسي الذي كان قد تعلّم في الجامع الأزهر بالقاهرة، وأخذ الطريقة عن الشيخ أحمد الصاوي. فقد كان من عادة الشيخ محمود الرافعي زيارة بلاد الشام في: المناسبات، والمواسم المختلفة، فيقوم بالدعوة والوعظ بين الناس، وبذلك انتشرت الطريقة الخلوتية في: اللاذقية، وصيدا، وعكا، ودمشق، واللد، والرملة، وبيت المقدس، والخليل وغيرها من مدن بلاد الشام.

في إحدى الزيارات التي قام بها الشيخ محمود الرافعي الطرابلسي إلى فلسطين منح الطريقة الخلوتية للشيخ عبد الرحمن الشريف الخليلي، وأجازه بالإرشاد، وبذلك أصبح الشيخ عبد الرحمن هو خليفة الطريقة في الخليل، واستمر إلى وفاته سنة (1305هـ/1887). وخلفه الشيخ حسن حسين عمرو من بلدة دور قرب الخليل الذي استمرّ حتى توفاه الله سنة (1338هـ/1919). ثم خلفه الشيخ محمد حسني الدين القاسمي (القواسمي) حتى وفاته سنة (1364هـ/1945)، وهذا الشيخ هو والد المشايخ المعاصرين الذي تولوا مشيخة الطريقة منذ الربع الأخير من القرن الرابع عشر الهجري. ومنه انتقلت الخلافة إلى أخيه الشيخ عبد الحي القاسمي، الذي تولى المشيخة باختيار المريدين واستمرّ في الخلافة حتى وفاته سنة (1382هـ/1910). ثم خلفه الشيخ ياسين بن الشيخ محمد حسني الدين القاسمي حتى وفاته سنة (1404هـ/1984)، ثم خلفه أخوه الشيخ محمد جميل بن الشيخ محمد حسني الدين القاسمي حتى وفاته سنة (1416هـ/1995)، ثم خلفه الشيخ عبد الرؤوف بن الشيخ محمد حسني الدين القاسمي وهو لا يزال حتى

(31) اتصال هاتفي مع د. خالد محمود قرقور، يوم الأحد، 24 جمادى الأولى 1433هـ، الساعة العاشرة والنصف صباحاً.

وقتنا هذا (24 جمادى الأولى سنة 1433هـ / 10/ مايو/ 2012) هو شيخ الطريقة «طريقة القاسمي الخلوتية الجامعية».

وكان مقرّ الطريقة في قرية زيتا قرب طولكرم وذلك منذ خلافة الشيخ ياسين ابن الشيخ محمد حسني الدين القاسمي سنة (1382هـ / 1962) ، واستمرت كذلك حتى سنة (1427هـ / 2006) حيث نُقل الشيخ ياسين ابن الشيخ محمد حسني القاسمي المقرّ إلى قرية نوبا قرب الخليل . وهو له مقرّ غير دائم أيضاً في مدينة باقة الغربية في فلسطين المحتلة منذ عام (1368هـ / 1948) .

أوراد الطريقة الخلوتية

للطريقة الخلوتية عدد كبير من الأوراد، وهي نفسها المتبعة عند كل فروع الطريقة في مناطق انتشارها المختلفة في فلسطين التاريخية، ومن الأوراد: ⁽³²⁾

ورد السحر، يُقرأ قبل صلاة الفجر.

ورد الدرّة، ويا لطيف، وتحفة الإخلاص: تقرأ بعد صلاة المغرب.

ورد القرآن الكريم، يُقرأ بعد صلاة العشاء.

وليلة الإثنين والجمعة يوجد ورد الصلوات مع منظومة أسماء الله الحسنى. كما يوجد غيرها من الأوراد كثير، ولكل ورد زمان، وعدد مرات، وطريقة في الأداء.

دور الطريقة الخلوتية في خدمة المجتمع

نشطت الطريقة الخلوتية في خدمة المجتمع الفلسطيني في مجالات عديدة، وذلك تمييزاً لها عن بقية الطرق الصوفية في فلسطين، وقد ظهرت خدماتها في ثلاثة مجالات هي:

(32) انظر: محمد أبو الرب، الفكر الصوفي، ص 161.

أ- بناء المساجد (الزوايا)⁽³³⁾

فقد أخذ أتباع الطريقة الخلوتية على عاتقهم نشر الدين الاسلامي بين عامة الناس، وتسهيل أدائهم العبادات فعملوا على بناء عشرات المساجد (الزوايا) وصلت إلى ما يزيد عن الخميس مسجداً موزعة على مختلف أنحاء فلسطين التاريخية، وأشهر تلك المساجد وأكبرها مسجد باقة الغربية الذي بني سنة (1407هـ) ومساحته (1350م²). ومن المساجد:

مسجد (زاوية الحرس) قرب مسجد الحرس، ومسجد الأشراف في مدينة الخليل، وزاوية نوبا البلد، والزاوية الغربية في نوبا، وزاوية بيت أولا، وزاوية أم علاس في بيت أولا، وزاوية صوريف، وزاوية الدوايمة. وهذه كلها في منطقة الخليل.

زاوية حوسان، وزاوية نحالين، وزاوية بتير، وهذه منطقة في بيت لحم.

زاوية عين السلطان، وزاوية عقبة جبر في منطقة أريحا.

زاوية برج الشيخ في البيرة، وزاوية رنتيس في رام الله.

زاوية علار، وزاوية زيتا وهي أكبر الزوايا، وزاوية عتيل، وزاوية دير الفصون، وزاوية صيدا. وهذه في منطقة طولكرم.

زاوية دير البلح، وزاوية جباليا في قطاع غزة.

زاوية باقة الغربية البلد، وزاوية بير بورين في باقة الغربية، وزاوية جت. وهذه في فلسطين المحتلة منذ عام (1368هـ/1948).

(33) انظر: عفيف القاسمي، أضواء على الطريقة، ص59-60؛ محمد أبو الرب، الفكر الصوفي، ص151؛ اتصال هاتفي مع د. خالد محمود قرقور، يوم الأحد، 24 جمادى الأولى 1433هـ، الساعة العاشرة والنصف صباحاً.

ب - بناء المؤسسات التعليمية لخدمة المجتمع المحلي في باقة الغربية والمحيط العربي فيها، وأهم تلك المؤسسات هي:

كلية الشريعة والدراسات الإسلامية سنة (١٤٠٩هـ/١٩٨٨) وكانت تُعنى بالدراسات الشرعية، واللغة العربية لإعداد الفقهاء، والأساتذة، والدعاة، والأئمة. كما عُنيَت بالبحوث العلمية في مجالات الدراسة الشرعية، واللغوية، وتحقيق المخطوطات، ونشر قيم الإسلام وأخلاقه، وقد تحوّلت عام (١٤٢٢هـ/٢٠٠١) إلى أكاديمية القاسمي، حيث فُتحت فيها أقسام دراسية عديدة منها: الحاسوب، والرياضيات، واللغة الإنجليزية، والتربية الخاصة، والطفولة المبكرة.

بناء كلية القاسمي التكنولوجية سنة (١٤٢٣هـ/٢٠٠٢) وهي تمنح درجة الدبلوم في عدّة تخصصات منها: هندسة البناء، والتغذية وغيرهما.

بناء روضات رياض الصالحين سنة (١٤٠٩هـ/١٩٨٨).

المجمع الثقافي سنة (١٤٢٥هـ/٢٠٠٩). وهو يقدّم دورات استكمال في: اللغة الإنجليزية، والحاسوب، والرياضيات، وغيرها من المواد التعليمية.

مدرسة القاسمي الأهلية (فوق الابتدائية) سنة (١٤٢٧هـ/٢٠٠٦)، وهي تستقبل طلبة المدارس من الصفوف التاسع حتى الثاني عشر.

كلية باقة الغربية سنة (١٤٣٢هـ/٢٠١١)، وهي تمنح درجة البكالوريوس في: إدارة الأعمال، والاتصالات، والبايوتكنولوجي.

افتتاح برنامج ماجستير في أساليب التدريس سنة (١٤٣١هـ/٢٠٠٩)، وبرنامج (M.E.D) في الشريعة الإسلامية، واللغة العربية سنة (١٤٣١هـ)، وفي الرياضيات سنة (١٤٣٢هـ).

ج - الثقافة العامة⁽³⁴⁾

بنت الطريقة مكتبة ضخمة تابعة لأكاديمية القاسمي، وهي أكبر مكتبة مُتخصّصة لدى العرب في فلسطين المحتلة منذ عام (1368هـ/2009)، وتضم أكثر من ثمانين ألف عنوان، فضلاً عن اشتراكها في مواقع علمية مُتخصّصة في الإنترنت. وكتب على بابها:

أرسى البناء بهمة إذ تعتلي شيخ الطريقة من سلالة أصل
فأقام مكتبة ليهدي نورها علماً لطلابها بصفو المنهل

كما يقيم مجمع القاسمي والأكاديمية مؤتمرات علمية مُتخصّصة، وندوات علمية متنوعة تثري الحياة الثقافية والعلمية لدى العرب في فلسطين المحتلة منذ عام (1368هـ/1949). ويوجد في الأكاديمية أربع مجلات علمية هي:

مجلة «جامعة». وهي مجلة علمية مُحكّمة تصدر منذ عام (1411هـ/1990).

مجلة دراسات إسلامية، تابعة لمركز الدراسات الإسلامية والمخطوطات، صدر منها حتى اليوم خمسة أعداد.

مجلة مجمع القاسمي للغة العربية.

مجلة أكاديمي للغة الإنجليزية.

ثانياً - الطريقة القادرية

نشأتها ومؤسسها

نشأت الطريقة القادرية في القرن السادس الهجري، وأطلق عليها اسم القادرية نسبة لمؤسسها الشيخ عبد القادر بن أبي صالح موسى جنكي دوست بن عبد الله بن موسى الجون بن عبد الله المحض بن الحسن المثنى بن الحسن بن عليّ بن أبي طالب، كرم الله وجهه، الذي عاش ما بين (470 و 561هـ). والمولود في جيلان أو (كيلان) بمنطقة

(34) انظر: عفيف القاسمي، أضواء على الطريقة 59-60: اتصال هاتفي مع د. خالد محمود قرقور، يوم الأحد، 24 جمادى الأولى 1433هـ، الساعة العاشرة والنصف صباحاً.

طبرستان جنوبي بحر قزوين، وعليه يُنسب الشيخ عبد القادر إلى مسقط رأسه فيقال: الجيلاني أو الكيلاني . وقد نشأ في أسرة زهد، ورحل إلى بغداد، وتعلّم على الإمام أبي حامد الغزالي (ت505هـ)، وأخذ عنه كتاب «إحياء علوم الدين»⁽³⁵⁾.

وقد اعتمد الشيخ عبد القادر الجيلاني في دعوته للطريقة القادرية أسلوباً يقوم على أمرين هما⁽³⁶⁾:

التعليم المنظم والتربية الروحية المنظمة في مدرسة ببغداد آلت إليه من الشيخ أبي سعيد المبارك بن علي المخرمي (ت511هـ)، وطوّرها، ووسّعها ونسبت إليه.

الوعظ والدعوة بين الجماهير.

أسلوب التربية

تهدف الطريقة القادرية في تربية المريد إلى إحداث تغيير في إرادته بحيث يصبح صفاء بلا كدر، ويصير مع النبي ، صَلَّى الله عليه وسلّم، بعقله ومشاعره، فيكون بذلك دليلاً وقُدوته.

ولكي يصل المريد إلى ذلك؛ فإن عليه أن يلتزم السنّة المطهّرة في كل شيء، وأن يتّصف بصفات أساسها: المجاهدة، والتّخلّي بأعمال أولي العزم، ومنها: إصلاح النّيّة في كل شيء، والعمل على إصلاح القلب والسّرّ قبل الظاهر والعلانية، والصبر على المصائب، وعدم الشكوى للخلف، وأكل الحلال فقط، وعدم الحلف باللّهِ، سبحانه وتعالى؛ صادقاً ولا كاذباً، عمداً ولا ساهياً، وتجنّب الكذب، والوفاء بالوعد، وتجنب النظر إلى المعاصي، والتواضع، وغيرها.⁽³⁷⁾

(35) انظر: الذهبي، سير أعلام النبلاء، 2/439؛ ياقوت الحموي، معجم البلدان، 2/201.

(36) انظر: محمد أبو الرب، الفكر الصوفي، ص79-80.

(37) انظر: محمد أبو الرب، الفكر الصوفي، ص81-82.

طريقة أخذ العهد في الطريقة القادرية

يتوجب على من أراد أخذ عهد الطريقة عمل عدة أمور هي:

الالتحاق بمرشد يتعهد، ويرشده إلى الطريق. وللمرشد قيمة عظيمة عند الصوفي يقول القشيري: «ولم يكن عصر من الأعصار في مدة الإسلام إلا وفيه شيخ من شيوخ هذه الطائفة ... إلا وأئمة ذلك الوقت من العلماء استسلموا لذلك الشيخ وتواضعوا له، وتبركوا به»⁽³⁸⁾.

ويقول: «سمعت الأستاذ أبا علي الدقاق (الحسن بن علي ت 410 هـ) يقول: الشجرة إذا أنبتت بنفسها من غير غارس فإنها تورق لكن لا تثمر، كذلك المريد إذا لم يكن له أستاذ يأخذ منه طريقته نفساً فنفساً، فهو عابدٌ هواه لا يجد نفاذا ..»⁽³⁹⁾

وهم يعتقدون بشيوخهم أكثر من ذلك يقول القشيري: «فإذا كان أصول هذه الطائفة أصح الأصول، ومشايخهم أكبر الناس، وعلماءهم أعلم الناس، فالمرید الذي له إيمان بهم إن كان من أهل السلوك، والتدرج إلى مقاصدهم فهو يساهمهم فيما خصوا به من مكاشفات الغيب، فلا يحتاج إلى التطفل على مَنْ هو خارج هذه الطائفة»⁽⁴⁰⁾.

يُبايع المريد مرشده ويُعاهدُه على السير معه، وتكون المبايعة بالمشابكة والمصافحة ثم يقول الشيخ: «لا إله إلا الله، أستغفرُ الله، ثم يُردُّ المريد ذلك بعد الشيخ. وإن كان المريدون أكثر من واحد وضعوا أيديهم فوق يد الشيخ. ومن لم يستطع يضع يده على كتف مَنْ بجانبه»⁽⁴¹⁾.

وهم يستدلون على المبايعة بقول الله تعالى (إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ)⁽⁴²⁾.

(38) القشيري، الرسالة، ص 388.

(39) القشيري، الرسالة، ص 390.

(40) القشيري، الرسالة، ص 389.

(41) انظر: عمر الصالح، الطريقة القادرية في فلسطين، ص 128.

(42) سورة الفتح، 10/48.

عوامل انتشار القادرية

ساعدت عوامل عديدة على انتشار القادرية في أنحاء العالم الإسلامي، ومنها بلاد الشام بعامه وفلسطين بخاصة، وأهم تلك العوامل هي⁽⁴³⁾:

أسلوب الشيخ عبد القادر الجيلاني في الوعظ، وطريقته في مخاطبة عامة الناس وخاصتهم على حدٍّ سواء. فقد بدأ مجلسه الوعظي في بغداد بالشخص، والاثنين، والثلاثة، ثم أصبح يضم الآلاف.

كانت بداية الدعوة القادرية تربوية أخلاقية امتداداً لمدرسة الإمام الغزالي، فأقبل عليها المخلصون الساعون للهداية من كل مذهب وجماعة، وعمل الشيخ عبد القادر من خلال دروسه على إشاعة الصّلاح والتجرد في الأمة.

انتدب الشيخ عبد القادر النابهين من تلاميذه لنشر طريقته التربوية، فكان أن شاعت بين الناس، وانتشرت زواياها، وخلواتها في مختلف أنحاء العالم الإسلامي.

دخول القادرية فلسطين

كان القادريون قد فهموا الجهاد فهماً سليماً في القرن السادس الهجري حيث انضموا لجيوش نور الدين محمود زنكي (ت569هـ)، وصلاح الدين الأيوبي (589هـ) وشاركوا في معركة حطين، وتحرير القدس. وبذلك كانوا من جيش التحرير الصلاحي سن (583هـ) فتوطنوا المدينة المقدسة، وقد عطف عليهم صلاح الدين الأيوبي، واهتم بتعزيز وجودهم في بيت المقدس.

وقد وفد إلى بيت المقدس بعد التحرير الصّلاحي أعداد كبيرة من الزهاد والمتصوفة بهدف الاعتكاف بالمسجد الأقصى المبارك، والمجاورة له، وزيارة الأماكن المقدسة في فلسطين بعامه، والقدس، وبيت لحم، والخليل، وقبور الأنبياء، ومقامات الأولياء، والعلماء، والصالحين بخاصة.

(43) انظر: محمد أبو الرب، الفكر الصوفي، ص91.

وقد أورد كثير من مؤلفي كتب فضائل بيت المقدس أسماء كثير من المتصوفة الذين وفدوا على بيت المقدس بعد التحرير الصلاحي، ومن أشهرهم: أبو عبد الله محمد بن إبراهيم القرشي الأندلسي، ورد من مصر إلى بيت المقدس، وبقي مجاوراً فيه إلى أن توفاه الله به، ودفن به سنة (599هـ)، وقبره كان يزار حتى القرن العاشر الهجري، والدعاء عنده مستجاب.

وكان يحضر مجلسه الشيخ الغوث أبو مدين شعيب بن الحسين الأندلسي (ت594هـ)، والذي كان شارك في معركة حطين، وتحرير بيت المقدس، وفقد ذراعه اليمنى، فدفنت في بيت المقدس، وغادر إلى المغرب الإسلامي ومات ودفن في مدينة تلمسان بالجزائر وقبره فيها، وعليه مقام يُزار.⁽⁴⁴⁾

والشيخ أبو عبد الله محمد المكناسي المصري كان من الأولياء العظام، وأصحاب الكرامات، قدم بيت المقدس وتوفي فيه سنة (656هـ)، ودفن في مقبرة مأمّن الله. والشيخ سعد الأندلسي (ت في حدود 600 هـ)، ودفن بجانب جبل المكبر. والشيخ الغوث أحمد بن أبي بكر الشهير بعنبر (ت 633هـ)، ودفن في قرية جبع شمال شرق القدس. والشيخ العارف أحمد (ت601هـ)، ودفن في قرية الجيب شمال غرب القدس. والشيخ العارف بالله القطب بدر بن محمد بن مطر (ت650هـ)، ودفن بوادي النصور بالقدس. وابنه الشيخ العارف محمد (ت663هـ)، ودفن بحي الثوري بالقدس. والشيخ أحمد الملقب وجدنا (ت710هـ)، ودفن في مقبرة مأمّن الله. والشيخ القطب الغوث أحمد بن أرسلان الرملي (ت844هـ)، ودفن بالقدس. والشيخ القطب العارف أحمد بن علي بن ياسين الدجاني (ت969هـ)، ودفن في مقبرة مأمّن الله وغيرهم.⁽⁴⁵⁾

ومن أشهر أعلام القادرية في العصر الحاضر في فلسطين الشيخ محمد هاشم البغدادي (ت1415هـ)، والذي تُنسب إليه الطريقة القادرية اليوم، وله أتباع في كثير من المدن والقرى الفلسطينية.

(44) انظر: ابن سرور المقدسي، مثير الغرام، ص376؛ محمد المقدسي، المستقصى، ص183.

(45) انظر: محمد المقدسي، المستقصى، ص184-193.

سيرة الشيخ محمد هاشم البغدادي

اسمه ونسبه ومولده⁽⁴⁶⁾

هو الشيخ محمد هاشم بن الشيخ حسن البغدادي القادري الكيلاني بن السيد مصطفى القادري بن السيد سليمان بن السيد علي بن السيد سليمان بن السيد مصطفى بن السيد زين الدين بن السيد محمد درويش بن السيد حسام الدين بن السيد نور الدين بن السيد ولي الدين بن السيد زين الدين بن السيد شرف الدين بن السيد شمس الدين بن السيد محمد الهتاك بن السيد عبد العزيز بن السيد محي الدين عبد القادر الجيلاني بن أبي صالح موسى جنكي دوست بن أبي عبد الله يحيى الزاهد بن محمد بن داود بن موسى بن عبد الله بن موسى الجون بن عبد الله المحض بن الحسن المثنى بن الحسن السبط بن الإمام علي بن أبي طالب رضي الله عنه.

وكان مولده سنة (1329هـ/1911) في بيت المقدس، وتوفي فيها في يوم الثلاثاء (23) ذي الحجة (مايو) سنة (1415هـ/1995)، ودفن في جبل الطور قرب ضريح الصحابي الجليل سلمان الفارسي رضي الله عنه.⁽⁴⁷⁾

ثقافته

نشأ الشيخ محمد هاشم في بيت المقدس، وتلقى علومه فيها، فالتحق في بداية حياته بمدرسة روضة المعارف بالقدس الشريف حيث درس المرحلة الابتدائية إلى الصف الخامس الابتدائي، ثم انتقل إلى المدرسة الأميرية في القدس أيضاً حيث تلقى التعليم الإعدادي والثانوي، وأنهى فيها الصف الثاني الثانوي.

لم يكتف الشيخ محمد هاشم بالدراسة الرسمية بل أقبل على علماء المسجد الأقصى المبارك فأخذ عنهم علوم الشرع واللغة العربية، وذلك على عادة علماء السف الصالح، فأخذ الفقه على الشيخ صالح الفتاوي، واللغة العربية على الشيخ محمد التونسي. وفي

(46) محمد هاشم البغدادي، التبيان، ص3؛ شرح صيغ الصلوات، ص هـ .

(47) انظر: حسين الدراويش، الوجيز في سيرة شيخنا، ص66.

سنة (1367هـ) رحل إلى الشام طلباً للعلم، فأخذ علوم القرآن الكريم عن الشيخ محمد الحَبَّاز، والقراءات العشر عن الشيخ بشير السَّلاح، وعلوم الحديث وروايته عن الشيخ محمد الديراني⁽⁴⁸⁾. وكان الشيخ محمد هاشم البغدادي حنفي المذهب.

انتسابه للطريقة القادرية

انتسب الشيخ محمد هاشم البغدادي للطريقة القادرية، وأخذ العهد بطريقتين هما:

عن طريق الشيخ صالح السَّرعيني المغربي، وأجازته بالمصافحة والمشابكة الشيخ محمد حبيب الله الشنقيطي بالطريقة وقراءة الورد.

تلقى العهد روحياً، إذ ورد في «دستور الولاية» قوله: «أخذ العهد روحياً عن جدته فاطمة الزَّهراء، وتولَّى تربيته بالجذب الباطني السيّد أحمد البدوي، وتولَّى ترقيته بالمقامات جدّه الغوث عبد القادر الجيلاني، وأما علم الأحوال فتلقّاه من الشيخ محيي الدين بن عربي، وتفسير الأحلام من محمد بن سيرين، وقد قلّده سيف الخلافة جدّه سيّد الناس يوم القيامة محمد رسول الله، صلّى الله عليه وسلّم»⁽⁴⁹⁾.

والإلهام ممكن شرعاً لكن لا بُدَّ من عرضه على الكتاب والسُّنة؛ فإن وافقهما عمل به، وإلا تركه. وصاحب القلب السليم يستطيع أن يُميّز بين الإلهام الربّاني، والوسوسة الشيطانية، قال الشيخ عبد القادر الجيلاني: «اطرق باب الحقّ، عزَّ وجلَّ، وأثبَّت على بابهِ، فإنَّك إذا ثبَّتَ هناك بانَّت لكَّ الخواطر فتعرف خاطر النَّفس، وخاطر الهوى، وخاطر القلب، وخاطر إبليس، وخاطر الملك...»⁽⁵⁰⁾.

وظائفه

تولى الشيخ محمد هاشم البغدادي نوعين من العمل هما: الرسمي الذي كسب

(48) انظر: محمد هاشم البغدادي، دستور الولاية، ص2؛ التبيان، ص3؛ شرح صيغ الصلوات، ص هـ.

(49) امحمد هاشم البغدادي، دستور الولاية، ص9-10؛ التبيان، ص3؛ شرح صيغ الصلوات، ص هـ.

(50) عبد العزيز السيروان، الصوفيون، وأرباب الأحوال، ص30.

منه رزقه، إذ عمل الشيخ محمد هاشم البغدادي إماماً لمسجد الصحابي الجليل سلمان الفارسي، رضي الله عنه، الكائن في جبل الطور (الزيتون) شرقي البلدة القديمة بالقدس الشريف، كما كان يعمل مأذوناً شرعياً فيكتب عقود الزواج في منطقة سكهنا.⁽⁵¹⁾

والتطوعي، حيث كان يدرّس الفقه، والحديث النبوي الشريف، وقراءة القرآن الكريم، لمريديه، ممّن كانوا يفدون على زاويته الملحقة ببيته المتواضع الكائن في حيّ الصوانة بجبل الزيتون (الطور)، وذلك صباح كل يوم جمعه إلى قبيل وقت الصلاة.

كما كان يُدرّسهم سير الصحابة والأولياء والصالحين، وأخلاق التّصوّف الإسلامي في الزاوية نفسها، بعد صلاة العصر من كل يوم.⁽⁵²⁾

مؤلفاته

عكف الشيخ محمد البغدادي في حياته المديدة على التأليف في مجالات: العلم الشرعي، والتصوف، واللغة، وقد ترك ثماني مؤلفات هي: أوضّحها مرتبة وفق الحروف الهجائية لعناوينها: .

باب الذكر الحكيم والأدعية. وهو رسالة في ذكر الله، والتوسّل إليه سبحانه وتعالى.⁽⁵³⁾

بغية العاشقين في مدح سيّد المرسلين. وهو ديوان شعر في مدح الرسول، صلّى الله عليه وسلّم، يضم حوالي مائة قصيدة، وقد طبع في مائة وخمسين صفحة من القطع المتوسط.⁽⁵⁴⁾

التبيان في تبرئة أبي البشر آدم، عليه السلام، ممّا نُسبَ إليه من العصيان، ويسمى أيضاً «الدُّرَرُ في عصمة أبي البشر». وهو في تفسير وشرح الآيات القرآنية التي تتحدّث

(51) انظر: حسين الدراويش، الوجيز في سيرة شيخنا، ص49.

(52) انظر: حسين الدراويش، الوجيز في سيرة شيخنا، ص49.

(53) انظر: حسين الدراويش، الوجيز في سيرة شيخنا، ص50؛ محمد أبو الرب، الفكر الصوفي، ص105.

(54) انظر: عمر الصالح، الطريقة القادرية في فلسطين، ص77؛ محمد أبو الرب، الفكر الصوفي، ص108.

عن سيدنا آدم ، عليه السلام ، ورأى فيها رأياً لم يذكره أحد من المفسرين - فيما أعلم - فمثلاً يقول الشيخ محمد هاشم البغدادي: «إنَّ آدم ، عليه السلام ، حريص على أوامر ربِّه الظاهرة والباطنة ... فكان الأكل لآدم بالأمر الباطني»⁽⁵⁵⁾. وقال أيضاً : «وعدَّ آدمُ هذا الأكل من الشجرة معصية تأدُّباً مع الحق»⁽⁵⁶⁾. وهو بذلك يرى أنَّ الله ، سبحانه وتعالى ، أمر آدم ، عليه السلام ، بالأكل من الشجرة ، والله سبحانه وتعالى يقول : (وَقُلْنَا يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ)⁽⁵⁷⁾. ويقول: (ويا آدمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ فَكُلَا مِنْ حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ)⁽⁵⁸⁾. ويقول (وَعَصَى آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَى)⁽⁵⁹⁾ ، فالله ، سبحانه وتعالى ، نهى آدم وحواء ، عليهما السلام ، عن الأكل من الشجرة ، ثم صرح أنه عصى ربِّه ، والله أعلم.

دستور الولاية

يقع في (650) صفحة من القطع المتوسط ، وقد طبع في جزأين. وهو كتاب في التصوف ، فقد تحدَّث فيه عن: مراتب الصوفية ومصطلحاتهم ، وبيان المقامات ، والأحوال مع شرح لها. وذكر شواهد عليها من الكتاب ، والسنة ، وأقوال المتصوفة. ويُفيد في معرفة السلوك إلى الله ، سبحانه وتعالى.⁽⁶⁰⁾

الدُّر المكنون في تفسير فواتح سور القرآن المصون.

وهو مطبوع ، ويقع في حوالي مائة صفحة من القطع المتوسط ، وهو: تفسير ، وشرح لمعاني فواتح سور القرآن الكريم.⁽⁶¹⁾

(55) محمد هاشم البغدادي ، التبيان ، ص32.

(56) محمد هاشم البغدادي ، التبيان ، ص68.

(57) سورة البقرة ، 35/2.

(58) سورة الأعراف ، 19/7.

(59) سورة طه ، 121/20.

(60) انظر: حسين الدراويش ، الوجيز في سيرة شيخنا ، ص50؛ عمر الصالحي ، الطريقة القادرية في فلسطين ، ص76؛ محمد أبو الرب ، الفكر الصوفي ، ص105.

(61) انظر: حسين الدراويش ، الوجيز في سيرة شيخنا ، ص50؛ عمر الصالحي ، الطريقة القادرية في فلسطين ، ص77؛ محمد أبو الرب ، الفكر الصوفي ، ص105.

شرح صيغ الصلوات على سيد السادات.

وهو كتاب نفيس في الرقائق، وقد شرح فيه تسع عشرة صيغة في الصلاة على الرسول، صلى الله عليه وسلم، وهذه الصلوات هي ممّا فتح الله بها على الشيخ محمد هاشم البغدادي⁽⁶²⁾. ومنها قوله في شرح الصيغة الأولى: «وردت على قلبي برؤيا منامية، إذ وقف عليّ هاتف، وهتف في أذني: أن محمداً صلى الله عليه وسلم جوهرة...»⁽⁶³⁾

الطبّ الروحاني.

وهو كتاب للعلاج بأي الذكر الحكيم، والأدعية انتقاه الشيخ من مصادر عديدة وهو ما يزال مخطوطاً⁽⁶⁴⁾

نور اليقين في الرد على مباحث المبشرين

وهو كتاب ردّ فيه على المبشر النصراني (غبرائيل نيقولا) في بحث تبشيري نشره وقد أقام الحجة والبرهان على ما ذهب إليه.⁽⁶⁵⁾

الورد القادري بأدلته الشرعية مع متن الصلوات على سيد السادات

وقد طبع في مطابع الدفاع بالقدس الشريف سنة (1406 هـ/ 1986)⁽⁶⁶⁾

وهذا الورد من إضافات الشيخ محمد هاشم البغدادي، ويضم عدة أوراد كان الشيخ محمد هاشم البغدادي يطلب من أراد من المريدين أن يدعو بها:

ومن الأوراد، أنه قال فيه للمريد:⁽⁶⁷⁾

(62) انظر: حسين الدراويش، الوجيز في سيرة شيخنا، ص 50؛ عمر الصالحي، الطريقة القادرية في فلسطين، ص77؛ محمد أبو الرب، الفكر الصوفي، ص105.

(63) محمد هاشم البغدادي، شرح صيغ الصلوات، ص5.

(64) انظر: حسين الدراويش، الوجيز في سيرة شيخنا، ص22.

(65) انظر: عمر الصالحي، الطريقة القادرية في فلسطين، ص76.

(66) انظر: عمر الصالحي، الطريقة القادرية في فلسطين، ص77.

(67) انظر: محمد أبو الرب، الفكر الصوفي، ص111-112.

قل يرحمك الله دبر كل صلاة مكتوبة:

حسبنا الله ونعم الوكيل. مائتا مرة.

استغفر الله العظيم. مائتا مرة.

لا إله إلا الله الملك الحق المبين. مائة مرة.

اللهم صل على سيدنا محمد وعلى آله وسلم. مائة مرة.

ويمكن عند الضرورة جعل المائتين عشرين، والمائة عشر مرات؛ إذ الحسنة بعشر أمثالها.

دعاء يدعو به المريد في الصباح والمساء، وهو كما يقول الشيخ.

انتشار القادرية في فلسطين

للقادرية وجود في معظم مناطق فلسطين (الضفة الغربية بما فيها القدس المحتلة، وقطاع غزة، والأرض الفلسطينية المحتلة منذ عام 1368هـ/1949)، وأكثر وجودها في القدس وفي فلسطين المحتلة (1368هـ/1949)، وكان الشيخ محمد هاشم البغدادي - خليفة الطريق - يزور أتباع الطريقة في مختلف المناطق. ولكل منطقة يوجد مُقدِّم، وهو: الناطق الرسمي باسم الطريقة في منطقته، وتُوكَّل إليه مهمة إعطاء العهد للمريدين والإشراف على حُسن سلوكهم في الطريقة. وبعد وفاة الشيخ محمد هاشم البغدادي سنة (1415هـ/1995)، خلفه في قيادة الطريقة الشيخ أحمد النتشة المكنى بأبي حامد، وأفاد السيد عبد الكريم نجم أنه لم يُعَيِّن خليفة له.

ومن أهم أتباع الطريقة الشيخ محمد حسين مفتي القدس والديار الفلسطينية وخطيب المسجد الأقصى المبارك. والشيخ محمد جمعة سلامة إمام مسجد الأقصى المبارك. والشيخ عبد السلام مناصرة المكنى بأبي غسان مُقدِّم الطريقة في مدينة الناصرة. والشيخ علي كامل إكمال، مُقدِّم الطريقة في بلدة قباطية في محافظة جنين.

وللطريقة زوايا كثيرة، غالباً ما بينها أحد أتباعها، ويجعلها ملحقة ببيته، فمثلاً زاوية الطريقة بالقدس بناها الشيخ محمد هاشم البغدادي، وهي ملحقة ببيته. وزاوية الطريقة في جنين بناها الشيخ محمد ناجح جرّار، وهي ملحقة ببيته الكائن قرب المستشفى الحكومي بمدينة جنين.⁽⁶⁸⁾

علاقة مريدي الطريقة بعضهم ببعض

تقوم علاقة مريدي الطريقة القادرية بعضهم ببعض على: الحبّ في الله، والإيثار، والتعاقد، والتعاون فيما بينهم سواء في مشاركة في الأفراح أم الأتراح أم غيرهما من المناسبات. وهم يسارعون لنجدة إخوانهم. ويقول في ذلك الشيخ محمد بحر: «أقبح القبيح صوفي شحيح، فيجب على الصوفي أن يكون كريماً، يَهْبُ لنجدة إخوانه، ويتعامل معهم بالإيثار»⁽⁶⁹⁾

ولزيادة الألفة فيما بينهم يلجأون إلى إقامة حفل المولد النبوي في كثير من مناسباتهم الاجتماعية مثل: الزواج، أو السكن في بيت جديد، أو ولادة مولود. حيث يدعو المريد - صاحب المناسبة - الأصدقاء أصحاب الطريقة، والمناصرين فيرددون الأناشيد الدينية، والتي تكون غالباً في مدح الرسول، صلى الله عليه وسلم، والصلاة على النبي، صلى الله عليه وسلم، وغالباً هم يختارون واحداً أو اثنين من أصحاب الصوت الجميل لإنشاد الأناشيد، وهم يُرَدِّدُونَهَا من بعدهم.

وعندهم كتيب باسم «المولد الشريف» يحتوي كثيراً مني الأناشيد الدينية الخاصة بإقامة المولد النبوي. وبعد ذلك يتناولون الطعام والحلوى. وبذلك يكون المولد حلقة مهمة في التواصل والالتقاء بين مريدي الطريقة ومناصريهم.

ولهم اجتماع ليلة الجمعة في الزاوية الموجودة في المنطقة حيث يقيمون حلقات الذكر، والأناشيد الدينية، والصلاة على النبي، صلى الله عليه وسلم، بشكل جماعي،

(68) انظر: محمد أبو الرب، الفكر الصوفي، ص 117.

(69) محمد أبو الرب، الفكر الصوفي، ص 121.

ولهذا الاجتماع أثر مهم في تنمية المحبة والأخوة بين مريدي الطريقة القادرية.⁽⁷⁰⁾

علاقة مريدي الطريقة القادرية بمريدي الطرق الأخرى

يبنى مريدو الطريقة القادرية فكرهم على التسامح مع غيرهم سواء أكان منهم أم من غيرهم، وهم لا يذمّون أحداً. وذلك اعتماداً على قول أبي الحسن محمد بن سعيد الوراق: «كان أجل أحكامنا في بادئ أمرنا في مسجد أبي عثمان الحيري: الايثار بما يفتح الله علينا، وأن لا نبیت على معلوم، ومن استقبلنا بمكروه لا ننتقم لأنفسنا بل نعتذر إليه، ونتواضع له، وإذا وقع في قلوبنا حقاره لأحد قمنا بخدمته والإحسان إليه حتى يزول»⁽⁷¹⁾.

وعلى الرغم من ذلك إلا أنهم يعتبرون طريقتهم أقوم الطرق الصوفية، وأكثرها اتّباعاً للكتاب والسنة.

وهم لا يُقرّون ما يقوم به أصحاب الطرق الأخرى من ممارسات خارقة للعادة والمألوف مثل: ضرب الشيش، وأكل الزجاج، وأية أمور تتعرض مع الكتاب والسنة⁽⁷²⁾.

ثالثاً - الطريقة التيجانية

النشأة والتأسيس

تنسب الطريقة التيجانية إلى الشيخ أحمد بن محمود بن المختار بن سالم التيجاني الذي عاش في الحقبة ما بين (1150هـ/1737-1230هـ/1814). والتيجاني نسبة إلى قبيلة أمه تجاني أو تجانا.

قدم جدّه إلى قرية عين ماضي، وسكنها وتزوَّج من أشهر قبائلها قبيلة تجاني أو تجانا، فنسب أولاده إلى قبيلة أمهم. وقد ولد الشيخ أحمد في قرية عين ماضي بولاية الأغواط بالجزائر. وحفظ القرآن الكريم، وأتقن العلوم الشرعية، وعلوم اللغة العربية، ثم

(70) محمد أبو الرب، الفكر الصوفي، ص 119-121.

(71) القشيري، الرسالة، ص 101-102.

(72) محمد أبو الرب، الفكر الصوفي، ص 121.

رحل إلى عدّة بلدان، وتأثر بمشايق الصوفية الذين كان يلتقيهم، وأخذ عنهم. وعندما كان في بلدة أبي صيفون جاءه الفتح، وأسّس الطريقة التيجانية، ثم كان أول مركز للتيجانية في مدينة فاس بالمغرب، فيما أصبحت عين ماضي مسقط رأس الشيخ أحمد مقرّ الخلافة العامة للطريقة التيجانية. والشيخ المؤسس مات في فاس، ودفن فيها.

نشأتها في فلسطين⁽⁷³⁾

تعود نشأة الطريقة في فلسطين إلى الثلث الأول من القرن الرابع عشر الهجري حيث كانت فلسطين ولاية عثمانية، وقد دخلت الطريقة التيجانية بيت المقدس في تلك الحقبة على يد الشيخ أحمد التيجاني.

والشيخ أحمد التيجاني من مواليد سنة (1308هـ/1890) في مدينة مراكش بالمملكة المغربية، ونشأ، وتعلّم فيها، فحفظ القرآن الكريم، وأتقن العلوم الشرعية، وعلوم اللغة العربية. توفّي والده فرعته شقيقته ثم توفّاها الله، سبحانه وتعالى. وكان قد أخذ الطريقة التيجانية في مراكش، وأصبح بمقام الخليفة. فاضطر إلى الهجرة للمشرق الإسلامي، فقدم مكة المكرمة حاجاً، ثم قدم بيت المقدس؛ لزيارة المسجد الأقصى، ومسجد قبة الصخرة، وغيرهما من الأماكن المقدّسة في فلسطين، فيما كان يعرف بـ «تقديس الحجة».

في أثناء وجوده في بيت المقدس حدثت الحرب العالمية الأولى فانقطعت السبل بالشيخ الشاب اليافع ببيت المقدس، وبقي فيها فعمل بالتجارة، ثم أخذ يُدرّس الناس في مسجد قبة الصخرة المشرفة العلوم الشرعية ما بين صلاتي العصر والمغرب لسنوات طويلة. وبذلك ذاعت شهرته، وصيته بين الناس في مختلفه أنحاء فلسطين، وكان المريدون الذين يلقي حبه في قلوبهم يقصدونه لأخذ الطريقة التيجانية عنه.

انتشارها في فلسطين

لا يوجد لها انتشار كبير في فلسطين مقارنة مع غيرها، وذلك؛ لأنها تُمنَح ولا تُؤخَذ،

(73) لقاء مع د. «محمد أمين» بن أحمد التيجاني / يوم الاثنين 16 جمادى الأولى سنة 1433 هـ الساعة 2:10 بعد الظهر في عيادته الكائنة في الرعاية الطبية في مدينة البيرة.

فهي طريقة تُركّز على نوعية المريدين، وليس عددهم.

فَمَنْ يريد السير في طريق الله، سبحانه وتعالى، حُبّاً وشوقاً، وصدف أن عرف عن الطريقة التيجانية، والتقى أحد شيوخها، وتعرّف إليه، وتقرّب منه، وألقى الله، سبحانه وتعالى، محبة الطريقة في قلبه، عند ذلك يمكنه أن يطلب الإذن من مُقدّم الطريقة؛ لتلاوة الأوراد التيجانية اللازمة، والاختيارية فإن التزم بها، وبشيخه يصبح تيجانياً.

وعليه فالطريقة قليلة الانتشار، ولها وجود في بيت المقدس حيث توجد الزاوية التيجانية منذ أواسط القرن الرابع عشر الميلادي، واستمرّت في أداء دورها إلى ما بعد احتلال للقدس سنة (1387هـ/1967) حيث قلّ أتباع الطريقة؛ فتوقفت عن العمل. وانتقل أتباعها لعقد اجتماعاتهم ولقاءاتهم في المسجد الأقصى المبارك، لكن المكان ما زال موجوداً وهو ملك للطريقة.

وتوجد زاوية ثانية في حي عين السلطان بمدينة أريحا، حيث بناها مُقدّم الطريقة في أريحا، وألحقها بمنزله وهو الشيخ حسن بن عبد الله المغربي، ويوجد أفراد في رام الله منهم ابن الشيخ المؤسس محمد التيجاني، وهو الشيخ الدكتور محمد أمين بن محمد التيجاني، وهو طبيب له عيادة طبية في مركز الرعاية العربية التخصصي في البيرة منذ عشرات السنوات. كما يوجد للطريقة أتباع في مدينة حيفا بفلسطين المحتلة منذ عام (1368هـ/1949)، وهم مريدون جدد.

ويتواصل أتباع الطريقة بعضهم مع بعض في المناسبات المختلفة، والتواصل يكون مع مُقدّم الطريقة في مدينة أريحا مع الشيخ حسن بن عبد الله المغربي، وهو مرشّح لتولي منصب الخليفة للطريقة، إذ منذ وفاة الشيخ المؤسس محمد التيجاني سنة (1401هـ/1980) الذي كان خليفة الطريقة انتقلت الخلافة للشيخ عبد الله بن حسن المغربي واستمر في المنصب إلى أن توفاه الله سنة (1427هـ/2006). ولم يتم انتخاب خليفة حتى الآن.

مراتب الطريقة

توجد للطريقة ثلاث مراتب هي:

المريد، وهو: السائر في طريق الله حباً وشوقاً، ويطلب من المقدم الإذن لتلاوة الأوراد، فيصبح تيجانياً ما التزم بالأوراد، وأوامر الشيخ المقدم.

المقدم، وهو: الذي يعطي الإذن للمريدين بقراءة الأوراد، ويتابع أحوالهم الروحية، ومنذ عام (1427هـ/2006) يتولى هذا المنصب الشيخ عبد الله بن حسن المغربي من سكان حي عين السلطان بمدينة أريحا، وهو مرشح مرتبة الخليفة.

الخليفة: ويتم اختباره من المريدين، وهو الذي يعطي الإذن بإعطاء الأوراد لمن يراهم مناسبين. وتولى هذه المرتبة في الطريقة التيجانية في فلسطين اثنان فقط هما: الشيخ المؤسس أحمد التيجاني ثم خلفه سنة (1401هـ/1980) الشيخ عبد الله بن حسن المغربي إلى وفاته (1427هـ/2006).

أوراد الطريقة التيجانية

توجد للطريقة التيجانية أوراد عديدة أهمها:

الاستغفار، مائة مرة.

الصلاة على سيدنا محمد، صلى الله عليه وسلم، بأية صيغة، مائة مرة.

كلمة التوحيد (لا إله إلا الله)، مائة مرة، تقرأ مرتان في النهار صباحاً ومساءً.

الوظيفة: وهي قسمان هما:

الاستغفار بصيغة «استغفر الله العظيم الذي لا إله إلا هو الحي القيوم» وتقرأ ثلاثين مرة بين صلاة العصر والمغرب.

الصلاة على النبي، صلى الله عليه وسلم، بصيغة صلاة الفاتح وهي: «اللهم صل على سيدنا محمد، الفاتح لما أغلق، والخاتم لما سبق، ناصر الحق بالحق، والهادي إلى صراطك المستقيم، وعلى آله حق قدره، ومقداره العظيم». وتقرأ خمسين مرة بين صلاة العصر والمغرب.

والاجتماع لقراءة الوظيفة شرط صحة، ولا بدّ منه لأهل البلد، فإن تركوها ولم يجتمعوا فقد خالفوا، وخرجوا عن الطريقة، وَمَنْ تخلفَ بعدَ فهو كمن حَضَرَ، ويذكرها وحده، ومن تخلفَ بغير عذر فقد ضيع في نفسه خيراً كثيراً لا حدَّ له.

والكلام في الورد والوظيفة كثرته مُبْطَلَة، وَمَنْ صدر منه يتدارك الذكر من أوّله، وأما الكلمة والكلمتان لعارض مُوجب فقيرٌ مبطلٌ لكن تركها أولى وأفضل.

جوهرة الكمال.

وهي صلاة على الرسول، صلى الله عليه وسلم، بصيغة خاصة جداً. وَمَنْ يعجز عن حفظ جوهرة الكمال، فعليه أن يقرأ صلاة الفاتح لما أغلق عشرين مرّة.

في يوم الجمعة.

يقرأ ما يعرف بورد الهيئلة وهي: «لا إله إلا الله» حيث يجتمع المريدون الموجودون في بلد واحد ساعة قبل الغروب، ويقرأونها في جماعة حتى الغروب، وَمَنْ كان مُنفرداً فيقرأها منفرداً.

طريقة تربية المريد

على كل مريد للطريقة التيجانية أن يلتزم بالأوراد السابقة، وبغيرها لا يكون تيجانياً، كما عليه أن يلتزم بقراءة ما يسمى «الأوراد الاختيارية»، وهي التي يعطيها له المقدّم أو الخليفة حسب حالته، وقدرته على القيام بها، وهذه الأوراد الاختيارية لا حدود لها وهي من دون تكليف.

علاقة الطريقة التيجانية بالطرق الصوفية الأخرى

تقوم علاقة مريدي التيجانية ومقدّميها وخلفائها بغيرهم من الطرق الصوفية على مبدأ تسير عليه الطريقة منذ نشأتها وهو: الاحترام والحب لجميع الناس، وحبُّ أهل الله في الله.

دورها في المجتمع الفلسطيني

يرى أصحاب الطريقة التيجانية أن دورهم منحصر في تربية أفراد ورعين، وتقاة، وملتزمين بما أمر الله، ومنتهين عما نهى الله عنه، وملتزمين بالسنة النبوية المطهرة. ولا توجد للطريقة التيجانية أية نشاطات مادية، أو اجتماعية، أو سياسية، وغيرها.

رابعاً - الطريقة النقشبندية

النقشبندية كلمة فارسية من مقطعين هما: النقش: ويعني الحفر. والبند: ويعني الحجر. وهذا يعني أن النقشبندي تعني: النقش على الحجر، وهو حفر لا يتأثر بالعوامل الطبيعية، فلا يندثر. والمعنى الباطني هو: أن كلمة الله، سبحانه وتعالى، محفورة في قلوب المريدين حفرًا غير قابل للزوال مع مرور الزمن.⁽⁷⁴⁾

تأسيس الطريقة

يرى أتباع النقشبندية أنهم أخذوا مبادئهم من أربعة أشخاص يعتبرونهم هم المؤسسون لطريقتهم وهم: سلمان الفارسي، وأبو يزيد البسطامي، وعبد الخالق الفجداني، ومحمد بهاء الدين الأوسي البخاري المعروف بشاه نقشبند وبعضهم يعتبر الخليفة الراشدي الأول أبا بكر الصديق، رضي الله عنه، هو المؤسس الفعلي، وأنه أخذ الذكر الخفي في الغار (غار حراء) عندما اختبأ فيه من كفار قريش مع رسول الله، صلى الله عليه وسلم، فلما قال له: لا تخف إن الله معنا. فإنما لقن أبا بكر الذكر الخفي الذي به استطاع أن يطمئن وتستقر نفسه في هذا الموقف الصعب⁽⁷⁵⁾. وأن سلمان الفارسي، رضي الله عنه، رأى أبا بكر الصديق، رضي الله عنه، يقول في نفسه: «الله، الله، الله، فسأله عن سبب ذلك، فأجابه أنه يحاول استرجاع الموقف في غار حراء. ثم نقلها إلى بلاد فارس فانتشرت أكثر من البلاد العربية؛ لأنهم بحاجة إلى طريقة تجعلهم أكثر خشوعاً وتقرباً إلى الله بدلاً عن تلاوة القرآن التي مارسها العرب؛ لأنهم أكثر فهماً لمعانيه ودقائقه.⁽⁷⁶⁾

(74) سهير قاسم، الطرق الصوفية، ص106.

(75) محمد درنيقة، الطريقة النقشبندية، ص18-19.

(76) محمد درنيقة، الطرق النقشبندية، ص10-11؛ سهير قاسم، الطرق الصوفية، ص107-108.

أما الشيخ منذر العوري فيرى أن أبا بكر الصديق، وسلمان الفارسي، رضي الله عنهما لم يكونا متصوفين بالمعنى المعروف اليوم، بل كانت طريقتهما مجرد سلوك، والذكر أخذه سلمان الفارسي، رضي الله عنه، عن أبي بكر الصديق، رضي الله عنه، فنسبت إليهما الطريقة أولاً وعرفت بالصدقية⁽⁷⁷⁾. ثم انتقلت إلى محمد بن القاسم ثم جعفر الصادق ثم أبي يزيد البسطامي ثم محمد شاه نقشبند الذي يعتبر المؤسس الفعلي للطريقة⁽⁷⁸⁾.

السند

للطريقة النقشبندية سلسلة سند يحرصون على الاحتفاظ بها تمسكاً بجذورهم الإسلامية، وهي مختصرة: الشيخ حسن الحسيني عن الشيخ ناظم الرباني الحقاني عن الشيخ يوسف الهمذاني عن الشيخ الفضل بن محمد الفارمدي عن الشيخ أبو الحسن الخارقاني عن الشيخ أبو يزيد البسطامي عن الإمام جعفر الصادق عن قاسم بن محمد بن أبي بكر الصديق عن سلمان الفارسي عن أبي بكر الصديق رضي الله عنه عن محمد بن عبد الله صلى الله عليه وسلم.

اختيار شيخ الطريقة

يحرصون على وجود شيخ للطريقة لكي يساعد المريدين ويرشدهم، لكنهم يختلفون عن الطرق الأخرى في أن شيوخ الطريقة ليس من الضروري أن يكونوا من عائلة واحدة. واختيار الشيخ يعتمد على نشاطه، ومدى قدرته على نشر الطريقة؛ إذ يحق لشيخ الطريقة إتباع الطرق التي يراها مناسبة لتفعيل الطريقة، وتقديمها بطريقة سهلة تمكن المريد من قبولها والإقبال عليها. والشيخ هو من يختار الأوراد الخاصة بكل مريد وفق حاله، ونشاطه، وقدرته على تنفيذها، ويختار الأوراد من المصادر نفسها التي تختارها الطرق الأخرى وهي: آيات قرآنية، وكلمات وأدعية دينية، وذكر، وتسبيح لله سبحانه وتعالى⁽⁷⁹⁾.

(77) منذر العوري، مقابلة شخصية.

(78) محمد درنيقة، الطريقة النقشبندية، ص 10-18.

(79) سهير قاسم، الطرق الصوفية، ص 110.

وتنتقل المشيخة من شيخ إلى آخر على أساس: الكفاءة، والحفاظ على الطريقة، ومراعاة مصالحها، وليس على أساس النسب والقربا كما في طرق أخرى. ويمكن للشيخ أن يعطي المريد إجازة إن وجد فيه أهلية لذلك وبخاصة تربية الأفراد وهو في إجازته يشهد للمريد بالقدرة على تسليك أمور المريدين⁽⁸⁰⁾.

ووجود الشيخ في النقشبندية ضروري للمريد لأنه يشكل حماية له. والتصوّف لا يكون إلا بالشيخ ومعظم الشخصيات التي حصلت مع المتصوفة تمت، وهم في حالة خلوة كما حصل مع ابن عربي فقد سيطر عليه شعور بأن القلب قد فرغ تماماً إلا من وجود الله، سبحانه وتعالى، فيصبح المتصوف سكراناً⁽⁸¹⁾.

ويعتبر النقشبنديون الرابطة مرأً مقدساً، وهي من أعظم طرق الوصول، وهذا الاعتقاد جعلها محل انتقاد من خصومها، ودفع شيوخها للدفاع عنها. والرابطة تعني «أن المريد يربط قلبه بالصادقين من المشايخ الذين نزهوا نفوسهم عن الغير والسوى»⁽⁸²⁾.

وقد اشترطوا في الشيخ شروطاً منها:

تجاوز الأربعين من العمر.

بلوغ رتبة أهل الفضل والراسخين في العلم.

الحصول على إجازة من شيخ معاصر.

يطبق الشريعة قولاً وفعلاً⁽⁸³⁾.

أوراد النقشبندية⁽⁸⁴⁾

(80) منذر العوري، مقابلة شخصية يوم الأحد 15 جمادى الأولى 1433 هـ الساعة الخامسة مساءً في مسجد الإمام علي بالبيرة.

(81) نذر العوري، مقابلة شخصية يوم الأحد 15 جمادى الأولى 1433 هـ الساعة الخامسة مساءً في مسجد الإمام علي بالبيرة.

(82) محمد درنيقة، الطريقة النقشبندية، ص29.

(83) محمد درنيقة، الطريقة النقشبندية، ص26.

(84) سهير قاسم، الطرق الصوفية، ص112.

الأوراد والذكر ركن مهم عن النقشبندية، فلا يصل الصوفي النقشبندي إلى الله، سبحانه وتعالى، إلا من خلال الأوراد والذكر، وهم لا يُحدِّدوا لذلك زماناً أو مكاناً معينين.

ولهم طريقتان في الذكر هما:

الذكر الجهري؛ إذ يجمع المريديون معاً ويذكرون الله جهاراً واستمروا في ذلك حتى تولي شاه نقشبند المشيخة حيث قصر الذكر على النوع الأفضل والأعلى وهو الذكر الخفي.

الذكر الخفي، وهو أعلى أنواع الذكر وأفضلها، وقصر شاه نقشبند ذكر النقشبندية عليه، لكن المريدين من بعده عادوا للذكر الجهري.

والذكر غير محدّد بلفظ وإن كان أفضلها لفظ (الله)، ويمكن الذكر بعبارات أخرى: يا غفار، يا رحيم، يا فتّاح. وهم يركّزون على الذكر بلفظ (الله) لأنها تُعبّر عن المقصود، ويركّز عليها المريد، فلا يَسْرَح وهو يذكّر، ولا يشرّد ذهنه بل يبقى يقظاً متبهاً.

وللذكر طريقتان هما :

التلقين من الشيخ للمريد.

التلقين الصامت من المريد نفسه.

الذكر الخفي

يتميز النقشبندية عن غيرهم من الطريق الصوفية بهذا النوع من الذكر. وهو أن يحاول المريد كتم أنفاسه، ليصبح في حال شوق وحنين لله، سبحانه وتعالى. وهم في ذلك يعتمدون على القلب ويربطونه بالعقل ثم اللسان. وذلك لأن واجب الوقوف بين يدي الله سبحانه يقتضي الخشوع، والحركة تضعف الخشوع فلا يدمن الصمت والسكون في كل شيء.

من الأوراد والأذكار⁽⁸⁵⁾

حمد الله - مائة مرة.

لا إله إلا الله مائة مرة. ويضاعف الشيخ للمريد العدد وفق حالته حتى تصل إلى ألف مرة.

ذكر الخواجكان. وهي كلمة فارسية تعني الشيخ. وهم يلجأون إليه لنيل الثواب أو دفع المضرة، ولهذا الذكر أركان منها: الخشوع، قراءة مجموعة من السور لله ورسوله وشيوخ الطريقة.

وهم لا تشغلهم طريقتهم عن كسب الرزق والعمل في أي نوع من العمل الحلال، فالشيخ عبد العزيز البخاري يعمل في السفارة الاسبانية بالشيخ جراح، والشيخ أهرام يمتلك محلاً تجارياً في باب العامود، والشيخ منذر العوري مدرساً في مدرسة النجاح بالبيرة وإماماً في مسجد علي بن أبي طالب، كرم الله وجهه.

هيكل بناء النقشبندية⁽⁸⁶⁾

للقشبندية بناء تنظيمي يقوم على:

القطب وهو الشيخ محمد ناظم حقاني.

الخليفة وهو محمد هشام القباني وهو زوج ابنة القطب محمد ناظم.

الأمير، ولكن قطر أو منطقة أمير، وفي فلسطين الأمير هو الشيخ عبد العزيز البخاري.

المريدون القادمون للذكر.

المرادون الملتزمون بالطريقة.

(85) محمد درنيقة، الطريقة النقشبندية، ص38.

(86) سهير قاسم، الطرق الصوفية، ص114.

المجذوب، ويختلف كل مجذوب عن غيره، وهم أشخاص لا تتحرك مشاعرهم إلا لذكر الله، سبحانه وتعالى، وكلامهم غير مفهوم، لأنهم وصلوا إلى درجة عالية لم يصلها غيرهم. ويتمنى الشيخ أمير الطريقة عبد العزيز البخاري أن يكون مجذوباً.

ويرى الشيخ منذر العوري أن الشيوخ في هذه الأيام كثير، قد أحدث بعضهم بدعاً كثيرة في الطريقة من غير التزام بمبادئها، ومن الصعب إقرار هذه الرتب الهيكلية، وهناك مريدون كثيرون للطريقة لكنهم يسرون عليها بصورة شكلية وهم لا يعرفون شيوخ الطريقة ومرشديها وهم لا شك يختلفون هو من يحقُّ له هو تولي هذه الرتب⁽⁸⁷⁾.

علاقات النقشبندية مع غيرها من الطرق الصوفية⁽⁸⁸⁾

علاقة أتباع النقشبندية تقوم على حُبِّ الناس بعامة وأهل الذكر بخاصة، وهم يشاركونهم أفرانهم وأترانهم. ويعاملون أتباع الطرق الأخرى معاملة حسنة فالشيخ عبد العزيز البخاري مقدّم الطريقة في فلسطين يؤدي الذكر مع أتباع الطريقة العلوية وفي زاويتهم، ويشاركهم احتفالاتهم حتى أن بعض العامة يعتقدون أن الزاوية النقشبندية هي نفسها الأفغانية، وذلك جراء وجود الشيخ عبد العزيز البخاري مع إخوانه في الزاوية الأفغانية الكثير.

الزاوية النقشبندية⁽⁸⁹⁾

للطريقة النقشبندية زاوية في بيت المقدس تعرف باسم النقشبندية نسبة إلى مؤسس الطريقة وناشرها في فلسطين في القرن العاشر الهجري الشيخ محمد بهاء الدين نقشبند البخاري (وتعرف بالبخارية) أيضاً نسبة إليه. حيث كان ثرياً فاشترى قطعة أرض في بيت المقدس وبنى الزاوية عليها على جزء من الأرض، وجعل نصفها وعليه الزاوية وقفاً ذرياً حصره في ذريته والنصف الثاني خيراً. وبذلك حافظ البخاريون على زاويتهم ولم تندثر كغيرها من الزوايا.

(87) منذر العوري، مقابلة شخصية.

(88) سهير قاسم، الطرق الصوفية، ص 116-117.

(89) عارف العارف، المفصل، ص 449؛ حمد يوسف، من آثارنا، ص 318.

وكان هدف انشاء الزاوية هو توفير الطعام والشراب والإقامة للفقراء والمساكين وبخاصة من بخارى وتركستان وجاوة. وقد أعاد بناءها الشيخ عثمان بك الصوفي البخاري سنة (1025هـ/1616)، ثم جدّدها الشيخ حسن الأذبيكي سنة (1144هـ/1731) فعرفت بالأذبيكية.

تقع الزاوية عند باب الغوانمة في الجهة الشمالية الغربية من الحرم القدسي الشريف عند ملتقى طريق المجاهدين بالطريق المؤدي إلى باب الغوانمة. وهي قريبة من الزاوية الأفغانية . وفي الزاوية مكتبة دينية ولغوية فيها عدد من المخطوطات، يصل إلى (170) مخطوطة بأيدي أبناء عائلة البخاري منذ القرن الثاني عشر الهجري، وفيها قبر والد الشيخ البخاري، وجامع يعرف بجامع الزاوية النقشبندية.

أماكن وجودها في فلسطين⁽⁹⁰⁾

يوجد للطريقة النقشبندية أتباع في مناطق عدة من فلسطين، لكن لا يمكن إحصاؤهم ومعرفة أماكن وجودهم بدقة وذلك لأنه لا توجد عملية توثيق للمريدين حيث الطريقة مرتبطة بالقلب. وهم موجودون في القدس والخليل ونابلس وقلقيلية وغزة بنسب متقاربة واقل من ذلك في فلسطين المحتلة منذ وطولكرم، تليها جنين ثم رام الله وبيت لحم. وإذا وجد عدد منهم في منطقة ما فإنهم يلتقون في مركز (زاوية) للذكر وتلاوة الأوراد.

خامساً - الطريقة العلّوية⁽⁹¹⁾

سميت بذلك نسبة إلى الخليفة الراشدي علي بن أبي طالب، كرم الله وجهه، وهم يرون أن علياً بن أبي طالب، كرم الله وجهه، جاد إلى رسول الله، صلى الله عليه وسلم، وسأله عن أقرب الطرق إلى الله، وأسهلها على عباده، وأفضلها عند الله تعالى، فأجابه بأن عليه مداومة الذكر، فأجابه علي: بأن كل الناس يذكرون الله، فقال صلى الله عليه وسلم: «يا علي، لا تقوم الساعة حتى لا يبقى على وجه الأرض من يقول الله، فقال علي:

(90) سهير قاسم، الطرق الصوفية، ص126.

(91) السكندري، الحكم العطائية، ص80.

كيف أذكر يا رسول الله؛ فقال له، صلى الله عليه وسلم: أغمض عينيك، واسمع مني ثلاث مرّات، ثم قلّ مثلها، وأنا أسمع، فقالن صلى الله عليه وسلم، : «لا إله إلا الله» ثلاث مرّات مغمضاً عينيه، ثم قالها علي كذلك.

ولقّنها علي بن أبي طالب كرم الله وجهه للحسن البصري ثم الحسن لحبيب العجمي ثم حبيب لداود الطائي ثم داود لمعروف الكرخي ثم معروف للسري ثم السري للجنيد ثم انتقلت إلى أرباب التربية، فلا مدخل على الله إلا من باب الذكر، وعليه فإن من الواجب على العبد أن يستغرق في الذكر، ويبذل جهده فيه، والذكر هو منشود الولاية ولا بدّ في البداية والنهاية، ومن أعطي الذكر فقد أعطي المنشور، ومن ترك الذكر عُزل، وأنشدوا:

والذكر أعظمُ باب أنت داخلُهُ لله فاجعل له الأنفاسَ حُرّاسا

تأسيس الطريقة في فلسطين⁽⁹²⁾

مؤسس الطريقة حديثاً هو الشيخ أحمد بن مصطفى العلّوي المستغنامي (ت1354هـ) وهو شيخ أمي من الجزائر. وكان للطريقة ثلاثة شيوخ توزّعوا في عدّة بلدان، فقد انتقل الشيخ محمد هاشمي التلمساني إلى بلاد الشام وعنه أخذ الشيخ عبد القادر عيسى، ثم عنه الشيخ حازم أبو نزار، ثم عنه الشيخ مصطفى الغلالي في القدس الشريف، واتخذ فيها زاوية لأتباعه. ثم اتخذ زاوية في السواحة الغربية بالقدس الشريف، ثم نقلها إلى المأذنة الحمراء، ثم إلى الأفغانية.

ومن أهم شيوخها الشيخ أحمد أبو العباس بن مصطفى بن عليوه الذي كان مقدّم الطريقة العلّوية وغوث العرص فيها.

(92) سهير اسم، الطرق الصوفية، ص128.

أركان الطريقة العلاوية

تعتمد الطريقة العلاوية على أركان عديدة أهمها: ⁽⁹³⁾

كسر النفس، والبعد عن المعاصي، ومحاربة الأهواء.

ضرورة محاربة أربعة أمور هي: النفس، والدنيا، والهوى، والشيطان.

محبة الآخرين، وصحة العقيدة.

حسن الأدب والصدق، وقوق العزيمة، والامتثال للشيخ.

النظر إلى الدنيا على أنها دار ممر وامتحان، وأنها جيفة طُلابها كلاب.

الوقوف عند حدود الله، سبحانه وتعالى، وعدم تجاوزها. وبذلك يقضي على هو النفس.

بناء على ذلك تظهر أهمية الشيخ للمريد حيث يقوده ويوجهه إلى كل ما فيه خير وصلاح. وبالمقابل فإن على المريد أن يبوح لشيخه بكل شيء يواجهه في حياته.

أذكار الطريقة العلاوية وأورادها ⁽⁹⁴⁾

للطريقة العلاوية كثير من الأذكار بعضها قديم وبعضها الآخر جديد، وهم يسعون إلى إيصالها للمريدين من خلال الوعظ والارشاد. ولا يمكن فهمها بشكل واضح من غير إرشاد من شيخ الوعظ والإرشاد. ولا يمكن فهمها بشكل واضح من غير إرشاد من شيخ أو مقدّم، وبذلك يتوجب على المريد حضور دروس الطريقة أو حلقاتها حيث يمكنه ربط الواقع النظري بالعمل التطبيقي في هذه الأذكار، وأهمها:

الورد العام: يتكون من آيات قرآنية وألفاظ دينية تطابق روح العصر، ولهذا الورد

(93) سهير قاسم، الطرق الصوفية، ص 130.

(94) سهير قاسم، الطرق الصوفية، ص 132.

مهمة هي تخليص النفس مما تحصده الحواس ليلاً ونهاراً . ويكون بعد صلاة الصبح والمغرب حيث تسود السكينة ويسهل الاقتراب من الله سبحانه وتعالى. وهذا يتأتى بالمداومة على الورد. ويتضمن قراءة سورة الواقعة، ثم دعاء خاص، ثم قراءة الفاتحة لشيوخ الطريقة وأموات المسلمين.

الاستغفار، والصلاة على النبي، صلى الله عليه وسلم، ولا إله إلا الله. مائة مرة لكل واحدة، ويتم من بعد صلاة الفجر وحتى صلاة المغرب، ومن بعد صلاة المغرب حتى بعد صلاة الفجر في اليوم الثاني.

الاستعاذة من الشيطان الرجيم مرة، والبسملة ثلاث مرات، ثم قراءة (وما تُقدموا لأنفسكم من خير تجدوه عند الله هو خيراً، وأعظم أجراً) والاستغفار بصيغة «استغفروا الله إن اللع غفور رحيم» مرة، ثم «استغفر الله» مائة مرة، ثم ينتهي بالقول «استغفر الله العظيم الذي لا إله إلا هو الحي القيوم واتوب إليه».

وغير ذلك من الأوراد .

أما الأذكار فإن أتباع العلّوية فإنهم يحرصون على اختيار الزمان المناسب للذكر من حيث الفراغ كي يتسنى لهم الخشوع، وعليه فإنهم يختارون وقت أذكار أورادهم ما قبل الفجر، أو ما بين المغرب والعشاء، أو في الثلث الأخير من الليل. كما يحرصون على اختيار المكان المناسب وهم يفضلون: مواضع الصلاة، أو المساجد، أو الزوايا، كما يحرصون على اختيار افخوان الذين يشاركونهم الذكر لأن ذلك مهم في إطالته.⁽⁹⁵⁾

والطريقة العلّوية تهتم بالذكر في تربية مریدیها لأنه يُقَرَّب إلى الله سبحانه وتعالى، ويحتاج إلى حضور. والقاعدة عندهم تقول : «من ذكر الله في غفلة استوجب الطر أو اللعنة». والذكر يحتاج إلى تركيز القلب واللسان. والكيفية لا تعطى إلا لسائر الطريق والمرید فقط. وعليه فإن للعلّوية أسرار لا يصل إليها إلا المریدون للطريقة.⁽⁹⁶⁾

(95) عبد القادر عيسى، حقائق عن الصوفية، ص 51.

(96) سهير قاسم، الطرق الصوفية، ص 134.

الورد الخاص يأخذ المريد بعد أخذ الورد العام من الشيخ، وهو ذكر الله، سبحانه وتعالى، بكيفية مخصوصة حسب تلقي المريد نفسه. وبناء عليه فإن لكل مريد ذكر خاص به قد يتفق مع آخرين وقد يختلف عنهم.

ويعتبر أتباع الطريقة العلاوية الحركة في الذكر وتلاوة الأوراد أمراً مقبولاً لكن بقيود، والاهتزاز هو في الأساس انسجام، وحدث عفوي دون تكلف. وشيخ الطريقة العلاوية عندما يعلم المريدين كان يُشوّقهم ويجذبهم بالتنوع في الوسائل؛ فقد يقرأ أبياتاً من الشعر، أو فقرات من كتب للطريقة مثل «إيقاظ الهم» وذلك حتى يبعد الملل عن المريدين.⁽⁹⁷⁾

وهم يهتمون بما يُسمى الحضرة لإشغال الحواس ظاهراً وباطناً عن الملهيات والمغريات، حيث يجتمعون يومي الأحد والخميس من كل أسبوع بعد صلاة العشاء، ويشكل الفقراء في اجتماعهم حلقة يتوسطها رائد، ويحجب النور، ويغمض المريدون عيونهم لكي تجتمع قلوبهم وحواسهم على الذكر فلم يأخذون بترويد اسم الله الأعظم ببطء ثم تزداد السرعة فينضبون وقوفاً، وتزداد سرعتهم، وتخرج أصواتهم ويباد الذكر بترد الأنفاس وللغناء عن المحسوسات فيقولون آه، آه، آه. ووجود فاصلتين بعد التأوه الذاتي يدل على أن التردد يأخذ بالبطء. ثم ينتهي رائد الحضرة بما شاء من القول للأمة، وقراءة الفاتحة للرسول، صلى الله عليه وسلم، ولشيوخ الطريقة. ثم يقولون كلهم: «لا إله إلا الله»، ثلاث مرات ثم محمد رسول الله. ثم يقرأون الفاتحة للسلسلة المباركة⁽⁹⁸⁾.

الهيكلية

تتشكل العلاوية من: القطب وهو الشيخ أحمد بن مصطفى العلاوي، رضي الله عنه، ثم الخليفة وهو مصطفى الغلالي، وقد أعطى الحاج مرتضى عبد الباسط التميمي رضي الله عنه، الذي أعطى الشيخ مازن أهرام (وهو من مواطني القدس في حي شعفاط) . ثم الأمير، وهو يوجد في كل منطقة للطريقة فيها أتباع وهو في فلسطين كلها الشيخ مازن أهرام. ثم المريد: وهو القادم إلى الذكر، ثم المراد: وهو الملتزم، ثم السلك: وهو السائر

(97) سهير قاسم، الطرق الصوفية، ص135.

(98) سهير قاسم، الطرق الصوفية، ص136: السعافين، المبادئ العامة، ص10.

في الطريق، ثم المجذوب. وهناك فرق بين مجذوب وآخر. ولا يعترض على المجذوب ولا يُسأل الدعاء لأنه غائب عن نفسه في شهود الحق وبذلك فإنه لا ينفع إلا نفسه، أما السالك فينفع نفسه وإخوانه⁽⁹⁹⁾.

وتولي الرتب في الطريقة ليس وراثه بل الأمر أقسام إلهية، ويحق لشيخ الطريقة اتباع ما يشاء من السبل من أجل تنشيطها، وتقديمها بطريقة مرنة ومقبولة للمريدين⁽¹⁰⁰⁾.

اختيار شيخ الطريقة⁽¹⁰¹⁾

يقوم شيخ الطريقة بنقل الطريقة إلى شيخ آخر كي يدير شؤونها وأمورها من أجل التسهيل والتسليك لأمر المريدين. وهم يرون أن ذلك يتم من خلال نور يقذفه الله على قلب المريد. وهم لا يختلفون على الشيخ الذي يتم اختياره.

ويتركز دور الشيخ في تطوير ما يُناسب المريد، ولا يبتدع أشياء من هو نفسه بل حسب حاجة المريد. لكن من حقه أن يضيف عدداً من الأوراد والأذكار للمريد وفق حاجته، ورغبته، وقدرته، وبذلك فإن على المريد أن يُصرِّح للشيخ عن حاله ولا يكتُم شيئاً عنه لكي يتمكن من توجيهه بطريقة سليمة.

أخذ العهد والبيعة⁽¹⁰²⁾

لا تختلف العلّوية عن غيرها في البيعة وأخذ العهد، وهم يعتبرون ذلك سيراً على الكتاب والسنة. والعلّوية يُسمّون العهد والتلقين والإذن والبيعة بالقبضة. أي أن كلا منهما يقبض على يد الآخر.

وللعهد نواقض منها: الظاهر، مثل: الكذب، والغيبة، والنميمة، والسبّ والشتيم، والقذف، وسرعة الغضب. ومنها الباطن مثل: الرياء، والحسد، والبعض، والعداوة،

(99) سهير قاسم، الطرق الصوفية، ص 137.

(100) سهير قاسم، الطرق الصوفية، ص 138.

(101) سهير قاسم، الطرق الصوفية، ص 138.

(102) سهير قاسم، الطرق الصوفية، ص 139؛ السعافين، المبادئ العامة، ص 4-5.

والفسق، والخديعة، والكبرياء، والكسل عند الطاعة. وأهم النواقض عند الصوفية هما: مجالسة العوام، وحبى الأموال إلى درجة كبيرة.

العلاقة مع الإخوان، والطرق الأخرى⁽¹⁰³⁾

يحترم المريد في الطريقة العلاوية إخوانه، ويحب لهم ما يحب لنفسه، ولا يهجرهم ويحمل لهم كل طيبة، ويبش في وجوههم.

أما علاقته مع شيخه فتقوم على الاحترام والتقدير، وهو لا يعصيه، ولا يناقشه، ويأخ أوامره على محمل الجد، ويؤمن بأن شيخه يحمل له كل الخير والصفاء، ويقوده إلى الخير، ويصدق القول. وهو مستسلم له استسلام الميت للمغتسل.

وهم يحترمون غيرهم ويعاملونهم معاملة حسنة سواء أكانوا على طريقة من الطرق الأخرى أم لا طريقة صوفية لهم.

الزاوية العلاوية⁽¹⁰⁴⁾

يلتقي أتباع الطريقة كغيرهم من أتباع الطرق الأخرى، مع شيخهم في الزاوية، ويقوم الشيخ مازن أهرام مقدّم الطريقة بإعطائهم الدروس والمواعظ كل يوم جمعة. وزاويتهم تقع في الحرم القدسي الشريف وتحمل اسم «زاوية الشيخ أحمد بن عليوة رضي الله عنه».

كما أنهم يدرسون مريديهم كتاب «إيقاظ المهم في شرح الحكم» لابن عطاء الله السكندري وذلك بناء على وصية الشيخ العلاوي. فضلاً عن حكم الشيخ العلاوي ومجموعة أخرى من الكتب. وهم يحثون أتباعهم على طلب العلم.

(103) سهير قاسم، الطرق الصوفية، ص 140-141.

(104) سهير قاسم، الطرق الصوفية، ص 144-145.

انتشارها في فلسطين⁽¹⁰⁵⁾

تنتشر الطريقة العلّوية في عدة مناطق من فلسطين أهمها: القدس وهي أكبر مركز لها، كما يوجد لها أتباع في الخليل وغزة. وبعد ذلك لهم وجود أقل في بقية المدن وأهمها على الترتيب: جنين ثم قلقيلية ثم نابلس ثم رام الله ثم طولكرم ثم بت لحم ثم باقة الغربية في فلسطين المحتلة منذ عام (1368هـ).

سادساً. الطريقة العلية القادرية الكسنزانية

إحدى الطرق المتفرعة عن الطريقة القادرية

وجودها في فلسطين⁽¹⁰⁶⁾

يعود وجودها في فلسطين إلى سنة (1414هـ/1993) عندما تم تأسيس السلطة الوطنية الفلسطينية بناء على اتفاق أوسلو بين منظمة التحرير الفلسطينية وسلطة الاحتلال الاسرائيلي، حيث عاد إلى أريحا رئيس منظمة التحرير الفلسطينية ورئيس السلطة الوطنية الفلسطينية ياسر عرفات باعتباره أحد مريدي الطريقة، ومعه عدد من منتسبي منظمة التحرير وهم من مريدي الطريقة.

حيث أوجد الرئيس ياسر عرفات المناخ المناسب لانتشار الطريقة في فلسطين، وتم تكليف الشيخ عبد الكريم محمد ناجي نجم وكيلاً للطريقة في فلسطين من قبل شيخ الطريقة في العالم الموجود في العاصمة الأردنية عمّان وهو الشيخ محمد عبد الكريم الكسنزاني الحسيني وذلك في العام (1416هـ/1995)، وتم توجيه كل دراويش (مريدي) الطريقة القدماء والجدد للإلتفاف حول الوكيل عبد الكريم نجم.

وللطريقة أتباع من فئة (الدراويش) في كل أنحاء فلسطين ومنهم الشيخ عبد السلام مناصرة وأولاده وأحفاده وغيرهم في مدينة الناصرة.

(105) سهير قاسم ، الطرق الصوفية، ص146.

(106) مقابلة عبد الكريم نجم ، يوم الخميس 6 جمادى الآخرة سنة 1433 هـ في مكتبته بالتوجيه السياسي بالبيرة.

أما زوايا الطريقة فلها زاوية كبيرة في مدينة قلقيلية أسست سنة (١٤١٨هـ/ ١٩٩٧)، وتحمل اسم الطريقة. كما توجد زوايا في كل من قرية عزون قضاء طولكرم، ونابلس والخليل ولا توجد زوايا في فلسطين المحتلة منذ (١٣٦٨هـ/ ١٩٤٩)، ولا في قطاع غزة.

تفسير اسم الطريقة^(١٠٧)

يفسر أهل الطريقة اسم طريقتهم كما يلي: العلية: نسبة إلى الخليفة الراشدي علي بن أبي طالب، كرم الله وجهه، باب مدينة العلم. والقادرية: نسبة إلى الشيخ عبد القادر الجيلاني (ت ٥٦١هـ) مؤسسها. والكسنزانية: مصطلح باللغة الكردية يعني ما يُدرك بالقلب؛ لأن علم التصوف في بداياته عقلي ثم يتحول إلى ذوقي.

مراتب الطريقة^(١٠٨)

للطريقة ثلاث مرات هي:

الشيخ: وهي غير موجودة في فلسطين.

الوكيل: وهي مرتبة إدارية، لتسهيل حياة وعمل ونشاط أتباع الطريقة، من حيث الالتزام بالأدوار والأذكار. ولا سلطة روحية له على المريدين (ال دراويش) الذين يستمدون مددهم الروحي من شيخ الطريقة روحياً.

الدرويش (المريد): كلمة تركية تعني العارف، والقاعدة عند أتباع الطريقة تقول: إن كان عارفاً بنفسه فقد عرف ربه»، وهي مرتبة عالية لا يصلها إلا المتحقق (العارف بالله). وبذلك فهي غير موجودة في فلسطين بهذا المعنى.

وهذه الأيام تطلق لفظة الدرويش على مريدي ومحبي مشايخ الطريقة.

طريقة أخذ العهد في الطريقة^(١٠٩)

(١٠٧) مقابلة عبد الكريم نجم ، يوم الخميس ٦ جمادى الآخرة سنة ١٤٣٣ هـ في مكتبته بالتوجيه السياسي بالبيرة.

(١٠٨) مقابلة عبد الكريم نجم ، يوم الخميس ٦ جمادى الآخرة سنة ١٤٣٣ هـ في مكتبته بالتوجيه السياسي بالبيرة.

(١٠٩) مقابلة عبد الكريم نجم ، يوم الخميس ٦ جمادى الآخرة سنة ١٤٣٣ هـ في مكتبته بالتوجيه السياسي بالبيرة.

يمكن للإنسان العادي الذي يرغب بأخذ الطريقة أن يأخذها عن الشيخ أو وكلاء الشيخ أو المرشدين المجازين (وهم دراويش مسموح لهم إعطاء الطريقة) بالمصافحة بين المعطي المرید فيوقل المرشد الفقرات التالية ويرددها خلفه المرید:

بسم الله الرحمن الرحيم ، أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن سيدنا محمداً رسول الله ، صلى الله تعالى عليه وسلم تسليماً.

آمنت بالله ... وملائكته وكتبه ورسله ، والبعث من بعد الموت ، والقضاء والقدر خيره وشره من الله تعالى.

تُبَّتْ وباعيت على يد قدرتك يا رب العالمين.

تُبَّتْ وباعيت على يد حضرة الرسول ، صلى الله تعالى عليه وسلم تسليماً.

تُبَّتْ وباعيت على يد حضرة الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام.

ومنه يدأ بيد على يد مشايخ سلسلتي الطريقة إلى حضرة الشيخ معروف الكرخي قُدَّسَ سرّه.

ومنه إلى يد الشيخ داود الطائي ، قُدَّسَ سرّه.

ومنه إلى يد الشيخ السري السقطي، قُدَّسَ سرّه.

ومنه إلى يد الشيخ الجنيد البغدادى، قُدَّسَ سرّه.

ومنه يدأ بيد إلى يد الشيخ عبد القادر الجيلاني، قُدَّسَ سرّه.

ومنه يدأ بيد إلى يد الشيخ إسماعيل الولياني، قُدَّسَ سرّه.

ومنه يدأ بيد إلى يد الشيخ الغوث عبد الكريم شاه الكسنزان، قُدَّسَ سرّه.

ومنه إلى يد الشيخ الغوث عبد القادر الكسنزان، قُدَّسَ سرّه.

ومنه إلى يد الشيخ الغوث عبد الكريم الكسنزان، قدّس سرّه.

ومنه إلى يد حضرة الشيخ محمد الكسنزان شيخ الطريقة العلية القادرية الكسنزانية.

ورضيّته شيخي ومُرشدي في الحياة الدّينا والآخرة، واللّهُ على ما أقول شهيد.

ثم يقول المرشد للمريد: أنا أعطيتك البيعة وكالة عن حضرة الشيخ محمد عبد الكريم الكسنزان الحسيني، قبلت؟

فيقول المريد : قبلت.

فُتُقرأ سورة الفاتحة تبركاً استمداداً لفيض بركاتها.

وتنفرد الطريقة عن غيرها من الطرق في فلسطين بوجود البيعة؛ وذلك لوجود شيخ لها، وافتقار الطرق الأخرى. غالباً - إلى شيوخ كُمل.

أوراد الطريقة

للطريقة أوراد، وتساييح وأذكار في ظل آيات القرآن الكريم والسنة النبوية المطهّرة وهي قسمان هما: (110)

الأوراد العامة: وهي تسعة عشر ورّداً أجازها شيخ الطريقة الغوث محمد الكسنزان الحسيني قدّس سرّه، ويسمونها «أسلوب التسبيحات العامة» ومنها: لا إله إلا الله، الله، يا هو، يا حيّ، يا واحد، يا عزيز، يا ودود، يا رحمن، يا رحيم، وغيرها. وكلها تقال مائة ألف مرّة.

الأوراد اليومية: وهي كثيرة، أجازها شيخ الطريقة، ويسمونها «أسلوب التسبيحات اليومية» وهي تقرأ بعد الصلوات، وفي كل يوم، وبعد صلاة الجمعة. وعدد مرّات قراءتها مختلف، ومنها مثلاً: بعد صلاة الفجر، لا إله إلا الله (300 مرّة)، لا إله إلا الله محمد

(110) نهرو الحسيني، الأوراد، ص17-22.

رسول الله، صلى الله عليه وسلم، في كل لمحاه ونفس عدد ما وسعه علم الله (100 مرة)،
الله (300 مرة)، سورة الفاتحة (300 مرة)، استغفر الله العظيم (100 مرة).

سند الطريقة⁽¹¹¹⁾

يعتقد أتباع الطريقة أنها أنزلت من الله، سبحانه وتعالى، إلى سيدنا محمد،
صلى الله عليه وسلم، ثم انتقلت إلى علي بن أبي طالب، كرم الله وجهه، ومنه تفرعت
بجناحين، والتقى الجناحان عند الشيخ معروف الكرخي البغدادي.

والجناحان هما: الجناح الذهبي: من علي بن أبي طالب، إلى الإمام الحسين، إلى
علي زين العابدين، إلى محمد الباقر، إلى جعفر الصادق، إلى موسى الكاظم، إلى علي
الرضا، إلى الشيخ معروف الكرخي.

والجناح الثاني: من علي بن أبي طالب، إلى الشيخ الحسن البصري إلى حبيب
العجمي إلى داود الطائفي إلى معروف الكرخي... إلى أن تصل الشيخ محمد الكسنزانيئيس
الطريقة العلية الكسنزانية في العالم، وهو الموجود اليوم في عمان عاصمة الأردن.

نشاطات الطريقة⁽¹¹²⁾

يوجد للطريقة مؤسسات اجتماعية لخدمة الشعب الفلسطيني ومنها:

جمعية المعراج للإغاثة والتنمية : وتأسست سنة (1419هـ/1998) في القدس ولها
مقرّات في رام الله، وقرية عابود قرب رام الله، وهي تسعى إلى تثبيت المواطن الفلسطيني
في أرضه من خلال تمكين المرأة الفلسطينية، ومدّها بالمشاريع المدّرة للدخل في القرى
المتضرّرة من الاستيطان، وصدار الفصل العنصري. مثل : مشروع تربية النحل لإنتاج
العسل، وتربية الأغنام، وتمويل تعليم الفتيات في الجامعات وهذا للأسر المستورة، وكفالة

(111) نهرو الحسيني، الأوراد، ص 25-26.

(112) مقابلة عبد الكريم نجم، يوم الخميس 6 جمادى الآخرة سنة 1433 هـ في مكتبه بالتوجيه السياسي بالبيرة.

الأيتام.

المساهمة في ترميم الزوايا في البلدة القديمة بالقدس ومنها الخانقاة الصلاحية سنة (1417هـ) حيث تمت إقامة الاحتفالات الدينية فيها مثل : المولد النبوي ، وحلقات الذكر ، ومناسبة الهجرة النبوية الشريفة.

تعمل على المشاركة في إحياء المناسبات الدينية بهدف تعريف عامة الناس بها ، كما أن بعض مريديها يعظون الناس في المساجد بهدف إرشادهم إلى طريق الإسلام السليم.

علاقة أتباع الطريقة بعضهم ببعض ومع الطرق الأخرى⁽¹¹³⁾

أساس علاقة أتباع الطريقة فيما بينهم هو علاقة الأخوة، وبينهم وبين الشيخ الطريقة هو علاقة الأبوة الروحية.

أما علاقتهم مع أتباع الطرق الأخرى فهم ينظرون إليهم على أنهم أخوة الطريق، أي طريق حضرة الرسول محمد، صلى الله عليه وسلم، إلى الله، سبحانه وتعالى.

المجلس الإسلامي الصوفي الأعلى

تأسيس المجلس وعضويته

تأسس بقرار رسمي من رئيس السلطة الوطنية الفلسطينية ياسر عرفات في أوائل عام (1416هـ/1995) ، وبناء على سلسلة من المشاورات بين أتباع أغلبية الطرق الصوفية في فلسطين.

وقد عين الشيخ محمد سعيد الجمل من القدس رئيساً للمجلس، وتم تعيين د. سعدات جبر رئيساً للمجلس عام (1431هـ/2009) بسبب كبر سن الشيخ محمد سعيد الجمل. والشيخ عبد الكريم نجم من رام الله أميناً للسّر، وعضوية كل من : د. سعدات جبر من رام الله ، والشيخ عفيف القاسمي من زيتا بطولكرم، و د. موسى عابدين من

(113) مقابلة عبد الكريم نجم ، يوم الخميس 6 جمادى الآخرة سنة 1433 هـ في مكتبته بالتوجيه السياسي بالبييرة.

القدس، ود . عبد الرحمن عبّاد من بيت لحم، ود . محمد نجيب الجعبري من الخليل، والشيخ جهاد رضوان الكيلاني من طوباس، والشيخ محمد علي كامل زكارنة من قباطية، والشيخ عبد الحليم متاني من قلنسوة، والشيخ عبد السلام مناصرة من الناصرة، والشيخ عبد الله الرفاعي والشيخ محمد جمال أبو الهنود من غزة.

والمجلس مؤسسة أهلية وطنية معترف بها من السلطة الوطنية الفلسطينية، ويتكون من أغلبية الطرق الصوفية الموجودة في فلسطين ولها تأثير فاعل، وهو يهتم بشؤون الشعب الفلسطيني بعامة، إذ يسعى إلى خدمة أبناء الشعب الفلسطيني بكل أطيافهم ومعتقداتهم، ويدعم برنامج تحرير فلسطين من الاحتلال الاسرائيلي.

أهداف المجلس

يسعى المجلس إلى تحقيق جملة من الأهداف غير المعلنة رسمياً ومن أهمها:

جمع الطرق الصوفية في فلسطين في إطار واحد، لأن الصوفية يشكلون نسبة غير قليلة من الشعب الفلسطيني الصامت الذي لا يتدخل بالشؤون السياسية. وذلك بهدف ترتيب وتنظيم العمل الصوفي بحيث يكون قادراً على التأثير في مجريات القضية الفلسطينية لاحقاً.

فتح قناة اتصال جادة مع الطريق الصفية والمجالس الصوفية في البلدان العربية والاسلامية بهدف حشد الدعم اللازم للقضية الفلسطينية وتشكيل جبهة عربية إسلامية من أتباع الطرق الصوفية والمجالس الصوفية في البلدان العربية والإسلامية بهدف حشد الدعم اللازم للقضية الفلسطينية ، وتشكيل جبهة عربية إسلامية من أتباع الطرق الصوفية داعمة للقضية والسلطة الوطنية الفلسطينية.

نشر الوعي السليم للإسلام المعتدل الوسطي السليم بين أبناء الشعب الفلسطيني في مواجهة حملات التشويه الغربية للإسلام التي تسعى إلى صبغه بصبغة التطرّف والإرهاب.

نشاطات المجلس

يقوم المجلس بسلسلة من النشاطات العملية والعلمية في المجتمع الفلسطيني ومن أهمها:

إقامة المحاضرات والندوات الدينية العلمية لتوعية الناس بالإسلام والطرق الصوفية، وزيادة الوعي الأخلاقي السليم في أوساط المسلمين.

المشاركة في المناسبات الرسمية التي تنظمها السلطة الوطنية الفلسطينية مثل: إحياء المولد النبوي الشريف، والإسراء والمعراج، والهجرة النبوية الشريفة، وغيرها من المناسبات.

تقديم الاستشارة الدينية للسلطة الوطنية الفلسطينية والمؤسسات المدنية في قضايا ذات بعد ديني.

الخاتمة

بعد الانتهاء من كتابة هذا البحث تمكنت من التوصل إلى النتائج الآتية:

الطرق الصوفية في فلسطين هي امتداد طبيعي لها في البلدان العربية والإسلامية مع وجود خصوصية للمشايخ والمريدين الموجودين في فلسطين نظراً لوجود الأماكن المقدسة فيها، والظروف السياسية الصعبة التي يعيشها الصوفية بخاصة وأهل فلسطين بعامة.

إن أدبيات الطرق الصوفية مُتعدّدة ومتنوعة ويصعب حصرها ومنها: الأذكار، والأوراد، والأشعار، والمؤلفات في موضوعات علمية مختلفة وأهمها الفقه، والسيرة النبوية، والتفسير.

كثرة الطرق الصوفية، وتغلغلها في مختلف فئات الشعب الفلسطيني، وكثيرون من أتباع هذه الطرق لا بل أغلبهم يمارسون حياتهم الدينية، ولا يُصرّحون بتصوّفهم لأسباب كثيرة.

نشاطات الطرق الصوفية متنوّعة، لكنها في الأغلب محدودة، وتقتصر - غالباً - على المريدين وأحبّابهم إلا في الطريقة الخلوتية فإن نشاطها يعمّ كل فئات المجتمع. مع ملاحظة أن خدماتها التعليمية والعلمية تركّزت في فلسطين.